



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين



محاضرات في العقيدة الإسلامية - السمعيات -

مطبوعة موجهة لطلبة السنة الثانية أصول الدين
السداسي الثاني

إعداد: د. زهير بن كتفي

السنة الجامعية: 1445-1446هـ - 2024-2025م





مقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

هذه المطبوعة في مادة: العقيدة الإسلامية، وهي مُوجَّهَةٌ إلى طلبة السَّنَةِ الثانية أصول الدين؛ تمييزاً لما كانوا قد تلقَّوه من قبل في السداسي الأول للجدع المشترك في مادة العقيدة الإسلامية؛ إذ أُنهم تعرفوا فيه على محوري الإلهيات والنبؤات تفصيلاً من خلال تناولهما في نصوص الوحي الكريم وعند علماء الكلام ولدى الفلاسفة الإسلاميين. ويستتُمون ههنا في مادة العقيدة الإسلامية، في هذا السداسي الثاني، تعميق المعارف التي كانت لديهم في أركان الإيمان؛ بتعميق التعرف خاصة على مبحث السمعيات بنوع من التفصيل.

وقد التزمت في عرض هذه المادة العلمية بالبرنامج الوزاري، والمحتوى المقرر في دراسة مادة العقيدة الإسلامية للسنة الثانية أصول الدين. ووزعت هذا المحور المقرر في السداسي الثاني وهو مبحث السمعيات كالآتي: حيث قدمت له بمدخل مفاهيمي حول السمعيات والغيبيات؛ لضبط المفاهيم الاصطلاحية وتحديد مجالاتها في العقيدة الإسلامية، ثم تناولت أهم القضايا الأساسية لهذا المبحث: كعالم الملائكة وكل ما يتعلق بهذا العالم تفصيلاً، وعالم الجن وكل ما يتعلق به تفصيلاً. ثم تطرقت إلى اليوم الآخر وتناولت ثلاث مسائل أساسية فيه: الأولى: طريقة القرآن الكريم في عرض الحياة الآخرة وإثباتها، الثانية: مسؤولية الإنسان العظمى في الحياة الآخرة؛ حيث تحدثت في هذا الإطار عن الحياة الآخرة وعرضتها في سلسلة مشاهد متتالية، ابتداءً من أشرار اليوم الآخر ومروراً بالحياة البرزخية وما يتلوها ووصولاً إلى الجنة والنار والتوق لرؤية الله تعالى. وقد تحلل هذا العرض مناقشة بعض آراء الفرق الإسلامية في جملة من المسائل المتعلقة بها. والمسألة الثالثة: عملت فيها على تبين أثر الإيمان بالحياة الآخرة والحساب في حياة الإنسان.

هذا وأرجو أن أكون قد وُفِّقت في تقريب مادّة العقيدة الإسلامية لطلبتنا الكرام، والله يقول الحق ويهدي السبيل.

د. زهير بن كتفي

برنامج مادة العقيدة الإسلامية السداسي الثاني المسطر في مشروع اليسانس السنة الثانية أصول الدين

السداسي: الثاني

المادة: العقيدة الإسلامية 2

أهداف التعليم:

- تحضر الطالب للتوجه نحو تخصص العقيدة ومقارنة الأديان
- تعميق معرفة الطالب بمبحث الوحي والنبوت والسمعيات وما يتعلق بها من مباحث.

المعارف المسبقة المطلوبة:

- تحصيل الطالب واستيعابه للمباحث المتعلقة بالعقيدة والتي درسها خلال السداسي الأول للجدع المشترك.

- تحصيل الطالب واستيعابه لمبحث الإلهيات والذي درسه خلال السداسي الثالث.

محتوى المادة:

3- السمعيات

أولاً: عالم الملائكة والجن

ثانياً: اليوم الآخر

1- طريقة القرآن في عرض الحياة الآخرة وإثباتها

2- مسؤولية الإنسان العظمى والحياة الآخرة

3- أثر الإيمان بالحياة الآخرة والحساب



السداسي الثاني

السمعيات





مدخل إلى السمعيات



مقدمة:

بعد أن تناولنا في السداسي الأول محورين أساسيين من محاور العقيدة الإسلامية وهما: الإلهيات والنبوات. فتحدثنا عن الإلهيات وما يتعلق بها من الإيمان بالله تعالى والأدلة على وجوده، والتوحيد وما يتعلق به من الكلام على الصفات الإلهية. وتحدثنا عن النبوات وما يتعلق بها من محاولة فهم طبيعتها والحاجة إليها، وماهية الوحي، إضافة إلى عقيدة ختم النبوة. فسنحاول في هذا السداسي الثاني أن نتطرق إلى محور آخر أساسي في العقيدة الإسلامية وهو السمعيات أو الغيبيات وما يتعلق بها من الإيمان بالملائكة والجن والعالم الآخر.

أولاً: تعريف السمعيات والغيبيات:

1- السمعيات:

أ- تعريف السمعيات لغة: السمعيات جمع "سمعية"، وهي كلمة منسوبة إلى السَّمْع من سمع يسمع سمعاً، قال الخليل ابن أحمد في معجم العين: "السَّمْعُ: الأُذُن"¹، وقال ابن منظور في لسان العرب: "السمع: حس الأذن. وفي التنزيل: ((أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)) [ق:37]"².

ب- تعريف السمعيات اصطلاحاً: والمعنى الاصطلاحي للكلمة قريب من هذا لأنّ السمعيات عند علماء العقيدة هي أمور تتوقف معرفتها على السمع، فعرفها السفاريني (ت1188هـ) مثلاً في كتابه لوامع الأنوار البهية بـ "ما كان طريق العلم به السمع الوارد في الكتاب أو السنة والآثار مما ليس للعقل فيه مجال"³.

وبناء عليه فالسمعيات أمور غيبية لا يستطيع العقل وحده أن يستقل بمعرفتها أو إدراكها، جاءت بها النصوص الشرعية السمعية، كعذاب القبر ونعيمه، وسؤال منكر ونكير والبعث والحوض والميزان وغير ذلك مما ورد به السمع، أي الشرع.

وتعرف السمعيات أيضاً باسم آخر هو الغيبيات، فهما اسمان مترادفان لمعنى واحد.

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية 1424هـ-2003م، ج2، ص 275.

2- ابن منظور، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر 1414هـ، ج8، ص 162.

3- السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ط2، دمشق، مؤسسة الخافقين 1402هـ-1982، ج2، ص3.

2- الغيبيات:

أ- تعريف الغيبيات لغة: الغيب يدل على تسرّ الشيء عن العيون. فهو كل ما غاب عن الأعين وغير مشاهد. "ومن ذلك الغيب، ما غاب مما لا يعلمه إلا الله تعالى. ويقال غابت الشمس تغيب غَيْبَةً وغيوباً وغيباً"¹، أي استترت وراء الأفق.

وبناء عليه فالغيب لغة يستعمل في كل غائبة تغيب عن الحواس فهي غيب بالنسبة إلى الإنسان.
ب- تعريف الغيبيات اصطلاحاً: "الغيبات هي كل ما لا سبيل إلى الإيمان به إلا عن طريق الخبر اليقيني"².

وإذاً كل مالا يقع تحت الحواس، وما لا سبيل إلى الإيمان به إلا عن طريق الخبر اليقيني دون العقل فهو من الغيبات.

ثانياً: الغيب حقيقة وجودية

درجت الإنسانية منذ فجر التاريخ على الإيمان بوجود أمور غيبية وراء عالم الشهادة المحسوس، ولما كان البشر في حاجة إلى معرفة تفاصيل عن هذا الغيب الذي يحيط بهم وتتجلى لهم بعض آثاره، فإنّ الله تعالى أرسل من ينبئهم ويظهرهم على ما يشاء من غيبه. قال تعالى: ((رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَآلِا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)) [النساء:165].

فكل اعتقاد ديني سماوي أو غير سماوي يقوم على أساس الإيمان بغيب يحار العقل عن إدراك تفاصيله وماهيته، ولكنه يشعر بسيطرته وقوته في نفسه، وقد نبّه على هذه الحقيقة الوجودية الكثير من الدارسين للشعوب والأديان، يقول العالم البريطاني المتخصص في علم الإنسان إدوارد تيلر: "الدين يتضمن دائماً الإيمان بكائنات روحية". فالعقائد الدينية بمختلف أنواعها تتميز بخصيصة الإيمان بالغيب من وراء عالم الشهادة وليس من جنس هذه الطبيعة، وهو ما يسمى بـ"عالم ما وراء الطبيعة" أو "ما بعد الطبيعة" أو "الميتافيزيقا"³.

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر 1979، ج 4، ص 403.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، ط8، دمشق، دار الفكر 1421هـ-2000م، ص 301.

3- فوز بنت عبد اللطيف كامل الكردي، أصول الإيمان بالغيب وآثاره، رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات بمجدة، قسم الدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية 1426-1427هـ، ص 25-26.

فجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام أخبروا عن الغيب، وجميع الأديان تقوم على الإيمان بالغيب، والإسلام في كافة معتقداته وتشريعاته يقوم على الإيمان بغيوب كثيرة، اليقين بوجودها الحقيقي هو أساس العقيدة.

وبناء عليه فإنّ الإيمان بوجود الغيب تشهد به الفطرة السوية، وقد هدى الله تعالى المؤمنين بالرسالات السماوية إلى تفاصيل عنه تعرّفهم بما ينفعهم وتدهم على تحقيق طريق العبودية لخالقهم¹.

ثالثاً: أقسام الغيب:

قسّم العلماء الغيب إلى أقسام باعتبارات مختلفة، من أهمها تقسيمه إلى قسمين بالنظر إلى ماهية الأمر الغيبي وصفات العالم به².

1- الغيب الذي لا دليل عليه: فلا يمكن للبشر معرفته كما قال تعالى: ((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ)) [الأنعام:59]، وغيب الغيب وهو الذات الإلهية المطلقة، لا يمكن أن يتعلق به علم مطلقاً لكونه محتجباً في حجاب عزته، ولا يجوز إطلاقاً اسم "الغائب" عليه تعالى ويجوز أن القول إنه غيب عن الخلق، وقد فسّر قوله تعالى: ((الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)) [البقرة:3]، بأنه هو الله تعالى³.

2- الغيب الذي نصب عليه دليل: فيمكن معرفته، وذلك كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من أحكام، والشرائع والملائكة واليوم الآخر وأحواله والبعث والنشور والحساب والجزاء، إلى غير ذلك مما يجب على العبد معرفته وكُلّف به، وهو غائب عنه لا يعاينه ولا يشاهده، ولكن يمكن معرفته بالخبر الصحيح.

1- المرجع السابق، الصفحات نفسها.

2- أنظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ط1، القاهرة، المطبعة الخيرية 1307هـ، ج2، ص31. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1388هـ-1968م، ج1، ص16. ابن تيمية، درة تعارض العقل والنقل، محمد رشاد شاكر، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج5، ص73. بسام علي سلامة العموش، الإيمان بالغيب، ط1، عمان، دار المأمون للنشر والتوزيع 1431هـ-2010م، ص40 وما بعدها. وفوز بنت عبد اللطيف كامل الكردي، أصول الإيمان بالغيب وآثاره، ص35.

3- الألوسي، روح المعاني، تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي 1999، ج1، ص155.

ويمكن إضافة قسم ثالث هو:

3- الغيب الإضافي أو المقيد أو النسبي: وهو غيب مكاني وغيب زماني، فالمكاني ما غاب عنا لبعده عن نظرنا، والزماني ماض لم ندرکه إما وجوداً أو معرفة، ومستقبل آت كنزول المطر في مكان ما قبل أن يقع، وحال وقوعه هو غيب في حق من كان غائباً عنه.

رابعاً: العلاقة بين عالم الغيب وعالم الشهادة:

ورد في القرآن الكريم مصطلح "عالم الغيب والشهادة"، قال تعالى: ((عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ)) [الرعد:9]، وقال أيضاً: ((عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)) [المؤمنون:92].

لقد سبق تعريف الغيب، أما الشهادة فهي ضد الغيب، وهي من الحضور، وهي "كل أمر نستطيع التوصل إلى شهوده بالوسائل الحسية فينا حسب العادة"¹. ونلاحظ في نصوص القرآن الكريم أن الله تعالى يقدم الغيب على الشهادة، والحكمة في ذلك أن الأمور الغيبية لا تتناهى سعة ومدى، أما الأمور التي نتمكن من الوصول إليها ومشاهدتها فهي أمور يسيرة قليلة.

ومعنى عالم الغيب والشهادة أنّ الله تعالى يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه، لا يغيب عن علمه شيء، والغيب هو بالنسبة للإنسان، أما الله تعالى فيستوي عنده الغيب والشهادة، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. قال تعالى: ((اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ)) [الرعد:8-10]².

بتدبر آي القرآن الكريم نجد عالمي الغيب والشهادة متكاملين، كما في آي القرآن الكريم عن الظواهر الكونية في ميدان الآفاق من عالم الشهادة، مع ذكر بعض المخلوقات من عالم الغيب، كتسبيح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، قال تعالى: ((هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (12) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ)) [الرعد:12-13].

1- حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 28. سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ط3، دمشق-بيروت، دار الكلم الطيب، ص 59-61.

2- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ط1، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع 2012، ص

ويورد العرش وهو من الغيب مع الآيات الكونية، قال تعالى: ((اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)) [الرعد:2].

ويستدل على البعث بمقدمات إحياء النبات في ميدان الآفاق من عالم الشهادة. قال تعالى: ((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ)) [الحج:6-7].

جميع الموجودات سواء من عالم الغيب أو الشهادة هي مستسلمة لله تعالى، قال تعالى: ((وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)) [الرعد:15] وقال عز وجل: ((تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)) [الإسراء:44]¹.

فمفهوم الغيب والشهادة في القرآن الكريم هو المفهوم الذي يحدد معنى الحياة والوجود، وغاية الحياة والوجود، وعلاقة ذلك بما وراء الوجود؛ إذ مفهوم الغيب والشهادة هو الإطار الأشمل الذي يحدد معنى العقل الإنساني ودوره في الحياة الإنسانية وحدود هذا الدور ومجالاته².

1- أنظر: حسن حبنكة الميداني، سورة الرعد دراسة أدبية ولغوية وفكرية، ط2، الرياض، مكتبات عكاظ 1983.

2- عبد الحميد سليمان، أزمة العقل المسلم، ط1، فرجينيا، م ع ف إ 1991، ص 110.



المحور الأول:
عالم الملائكة والجن





عالم الملائكة



1- تعريف الملائكة:

أ- لغة: الملائكة جمع مَلَك وأصله "مَأْك" وقيل "مَأْكَ" على وزن مَفْعَل، فنقلت الهمزة إلى اللام وأسقطت فوزن "ملك". وهو مشتق من "الألوكة" وهي الرسالة. يقال "ألكني" أي أرسلني¹. والذي يستفاد من التعريف اللغوي للفظ الملائكة أنهم عليهم السلام رسل الله تعالى. وقد سمّاهم الله تعالى بذلك في عديد الآيات، منها قوله تعالى: ((وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)) [هود:77].

ب- اصطلاحاً: الملائكة أجسام لطيفة مخلوقة من نور قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لها قدرات لا حصر لها، لا يأكلون ولا يشربون، وهم عباد مكرمون يفعلون ما يؤمرون، ولا يعصون الله تعالى².

2- وجود الملائكة:

وجود الملائكة أمر ثابت بالدليل القطعي من القرآن الكريم والسنة النبوية، الذي لا يمكن أن يلحقه شك أو ريب.

- قال تعالى: ((أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)) [البقرة:285]. وقال تعالى: ((يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ)) [النحل:2].

- أما ما ورد من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقوله لجبريل عليه السلام في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب، عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره".

- وفي كل القرآن الكريم والسنة المطهرة نصوص كثيرة أخرى تخبر بصريح العبارة عن وجود الملائكة. ومن هنا كان إنكار وجود الملائكة كفراً بنص القرآن الكريم و بإجماع المسلمين، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)) [النساء:136].

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (م ل ك). الرازي، مفاتيح الغيب، ج2، ص384.

2- الرازي، مفاتيح الغيب، ج2، ص384. محمد علي الصلابي، الإيمان بالملائكة، ص13 وما بعدها.

- كما أن الإيمان بنبوّة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ونزول القرآن الكريم عليه يستلزم الإيمان بالملائكة، فإنكار وجودهم إنكار للنبوّة وللقرآن الكريم معاً.

3- طبيعة الملائكة:

بيّنت السنة النبوية المادة التي خلق الله تعالى منها الملائكة الكرام، حيث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّهم خلقوا من نور في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم"¹.

4- حديث القرآن الكريم عن الملائكة²:

أ- تحدث القرآن الكريم عن الملائكة بهذا اللفظ أو بالمفرد أو بالثنى 88 مرة.

ب- تحدث عن الإيمان بهم 3 مرات كما في قوله تعالى: ((لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ)) [البقرة: 177].

ج- تحدث عنهم في سياق الحديث عن خلق آدم عليه السلام وتكريم الإنسان والإعلان عن أهمية وخطورة مهمة على الأرض بنحو 11 مرة.

د- تحدث عنهم بنحو 9 مرات في معرض بيان أنّهم ليسوا بأهله ولا تجوز عبادتهم، بل هم يؤمنون بالله تعالى ويعبدونه وله يسجدون. قال تعالى: ((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ)) [سبأ: 40-41].

هـ- تحدث عنهم بنحو 21 مرة في معرض الرد على تصورات المشركين الخاطئة والباطلة عنهم سواء فيما يخص أن النبي لا بد أن يكون ملكاً أو أن يأتي معه ملك، قال تعالى: ((وَقَالُوا مَا لِيْذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا)) [الفرقان: 7]. أو فيما يخص

1- مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، حديث 2996. تحق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

2- ينظر: محمد عياش الكبيسي، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، ط1، بغداد، مطبعة الحسام، 1995، ص311 وما بعدها.

تصورهم أن الملائكة إناثاً، قال تعالى: ((وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)) [الزخرف:19].

و- تحدث عنهم بنحو 7 مرات في سياق الحديث عن تأييدهم للمؤمنين، قال تعالى: ((إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعِيَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ)) [آل عمران:124].

ز- تحدث عنهم بنحو 15 مرة أثناء ذكر بعض الأعمال التي يقومون بها في الدنيا والتي لها علاقة بالإنسان ومهمته.

ح- تحدث عنهم بنحو 13 مرة أثناء ذكر دورهم وأعمالهم في الآخرة.

وهذه المحطات القرآنية في الحديث عن الملائكة هي صورة لا تحكي الكنه الغيبي لهم، بل هي صورة يحتاجها الإنسان في معرفة وظيفته الكبرى ألا وهي الخلافة. ومن هنا فهذه المحطات تشكل بلا ريب الصورة المتكاملة التي أراد أن يبينها ويقدمها القرآن الكريم للإنسان.

5- أسماء الملائكة¹:

وردت أسماء الملائكة عليهم السلام في القرآن الكريم وفي السنة النبوية عامة وخاصة.

أ- الأسماء العامة:

-الأشهاد: ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ((إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)) [غافر:51]، أن "الأشهاد" هم الملائكة².

-الملا الأعلى: ذكر القرطبي في تفسيره قوله تعالى: ((مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ)) [ص:69]، أن المقصود بالملا الأعلى هم الملائكة³.

-الجنود: قال تعالى: ((ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)) [التوبة:26].

-السفرة: قال تعالى: ((بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ)) [عبس:15-16].

1- ينظر: محمد علي الصلابي، الإيمان بالملائكة، ص50 وما بعدها.

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع 1999، ج4، ص84.

3- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص18.

-الرسول: قال تعالى: ((اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)) [الحج:75].

ب- الأسماء الخاصة:

- جبريل وميكائيل: قال تعالى: ((قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ)) [البقرة: 97-98].

-إسرافيل: وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكرهم في دعائه كلما استيقظ من الليل: "اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"¹.

- مالك: خازن النار. قال تعالى: ((وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رِيْقَكَ قَالَ إِنكُمْ مَأْكُوثُونَ)) [الزخرف:77].

- رضوان: خازن الجنة، قال ابن كثير: "وخازن الجنة ملك يقال له رضوان جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث".

- منكر ونكير: من الملائكة الذين سماهم الرسول صلى الله عليه وسلم.

- هاروت وماروت: ملكان سماهم القرآن الكريم، قال تعالى: ((وَاتَّبِعُوا مَا تَنَزَّلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ)) [البقرة:102]. ويبدو من سياق الآية أنّ الله تعالى بعثهما فتنة للناس في فترة من الفترات، وقد نسجت حولهما أساطير كثيرة لم يثبت منها شيء في الكتاب والسنة.

- عزرائيل: جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت بعزرائيل، ولكنها غير ثابتة.

- رقيب عتيد: يذكر بعض العلماء رقيب وعتيد، قال تعالى: ((إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)) [ق:17-18].

1- أنظر: سليمان الأشقر، العقيدة في الله، ط2، عمان، دار النفائس 1999، ص16.

6- موت الملائكة:

الملائكة يموتون كما يموت الإنس والجن، قال تعالى: ((وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) [التقصص:88]. ولكن هل يموت أحد منهم قبل نفخة الصور؟ هذا ما لا نعلمه ولا يستطيع الخوض فيه لعدم وجود النصوص المثبتة لذلك أو النافية.

7- صفات الملائكة¹:

أ- أنهم مخلوقون من نور: وقد مر بيانه.

ب- أنهم أصحاب أجنحة: قال تعالى: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [فاطر:1]. وفي البخاري عن عبد الله بن مسعود: "أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح"².

ج- أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون ولا ينامون: وقد مر بنا أن الله تعالى ذم الذين وصفوا الملائكة بالأنوثة.

د- أنهم منحوا القدرة على التشكل بأشكال مختلفة: قال تعالى: ((فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)) [مريم:17]. ومثال الملائكة ضيوف إبراهيم عليه السلام، والملائكة الذين جاؤوا سيدنا لوط عليه السلام في صورة شباب جميلي الصورة. وحديث جبريل الذي جاء فيه سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة. وأيضا تمثله في صورة الصحابي دحية الكلبي رضي الله عنه.

هـ- أن لهم قدرات خارقة متعهم الله تعالى بها: فهم جنود الله تعالى قادرين على أشياء يعجز الإنسان عن الإتيان بمثلها، كقطع المسافات البعيدة في أسرع اللحظات وكحمل الأشياء الثقيلة جداً.

1- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص225 وما بعدها.

2- البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، حديث3232.

و- أنهم لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون: مطيعون لله تعالى معصومون عن المعاصي صغیرها وكبیرها، قال تعالى: ((وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)) [الأنبياء: 26-27].

ز- أنهم مقربون من الله تعالى ومكرمون عنده: قال تعالى: ((لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا)) [النساء: 172].

8- وظائف الملائكة¹:

جاء في عديد النصوص الشرعية ما يدل على أن الملائكة أصناف، وأن لكل منهم وظائف أقامه الله تعالى فيها، من غير الحاجة إليهم فهو تعالى غني عن العالمين، بل ليدل بذلك على عظمته عز وجل وقدرته سبحانه وعلو ملكه وسلطانه. ومن هذه الوظائف ما يأتي:

أ- الوحي: وهي وظيفة خاصة بجبريل عليه السلام، فهو الذي كان ينزل بالوحي على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: ((وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ)) [الشعراء: 192-194].

ب- الموكلون بالأرزاق: وأسبابها من السحب والأمطار والرياح، وذلك كميكائيل عليه السلام.

ج- النفخ في الصور: وهذا وارد في إسرافيل عليه السلام، فقد ورد أنه صاحب الصور (وهو شيء كالبوبق) الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى. قال تعالى: ((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)) [الزمر: 68].

د- قبض الأرواح: ولكن هل الذي يتولى ذلك منهم ملك واحد أم ملائكة كثيرين؟ فقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن ملائكة الموت أكثر من واحد، وورد أيضاً أنه واحد.

1- ينظر: محمد علي الصلابي، الإيمان بالملائكة، ص 101 وما بعدها. وينظر: مصطفى سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص 237.

- فيما يخص أكثر من واحد، كقوله تعالى: ((وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ)) [الأنعام:61]. ((وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)) [الأنفال:50].

- وفيما يخص ملكاً واحداً، كقوله تعالى: ((قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)) [السجدة:11].

فكيف يكون الجمع بين الآيات؟ الواقع أن الذي يتولى عملية الموت هم صنف من الملائكة يرأسهم ملك الموت عليه السلام، فتارة يسند العمل إلى رئيس الملائكة، وتارة إلى أتباعه من الملائكة، والأتباع يقومون بمعالجة خروج الروح من الجسد وملك الموت يقبض الروح، والله أعلم.

هـ- نفخ الأرواح في الأجنة: وكتابة مستقبل أعمالها وآجالها وأرزاقها وسعادتها أو شقاوتها. فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد"¹.

و- كتابة أعمال المكلفين: من خير أو شر، حيث وكل الله تعالى بكل مكلف ملكين اسم كل واحد منها رقيب عتيد، يسجل كل أعمال المكلفين من خير وشر. قال تعالى: ((إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)) [ق:17-18].

ز- القيام برعاية أهل الجنة ونعيمهم: قال تعالى: ((وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)) [الرعد:24].

ح- القيام بشؤون أهل النار وعذابهم: قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)) [التحریم:6].

1- البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث3036. مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي، حديث2643.

ك- بشارة المؤمنين عند الموت: قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ)) [فصلت: 30-31].

9- هل إبليس من الملائكة؟

اختلف العلماء في جنس إبليس هل هو من الملائكة أم من الجن إلى رأيين¹:

- ذهب الفريق الأول: إلى القول بأنه من الملائكة وأن الاستثناء الوارد في الآيات الكريمة: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ)) [الأعراف: 11]، ((فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)) [ص: 73-74]، إنما هو استثناء متصل.

- بينما ذهب الفريق الثاني: إلى أن إبليس لم يكن من الملائكة، وإنما هو من الجن وأن الاستثناء الوارد في الآيات إنما هو استثناء منقطع. ويظهر أنه هو الرأي الراجح.

- حيث ذهب الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى: ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)) [الكهف: 50]، إلى أن ((كَانَ مِنَ الْجِنِّ)) "هو كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيد استثناء اللعين من ((كَانَ مِنَ الْجِنِّ))، فكأنه قيل ما له لم يسجد؟ فقيل كان أصله جنيًا وهذا ظاهر في أنه ليس من الملائكة"². وقال الشنقيطي: "وقوله في هذه الآية الكريمة ((كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)) ظاهر في أن سبب فسقه عن أمر ربه كونه من الجن. وقد تقرر في مسلك النص وفي مسلك الإيماء والتنبيه أن الفاء من الحروف الدالة على التعليل كقولهم "سرق فقطعت يده"، أي لأجل سرقته، و"سهى فسجد" أي لأجل سهوه. أي لعله كينونته من الجن لأن هذا الوصف فرّق بينه وبين الملائكة لأنهم امتثلوا الأمر وعصى"³.

1- ينظر للاستزادة: محمد علي الصلابي، الإيمان بالملائكة، ط2، بيروت، دار المعرفة 2011، ص22 وما بعدها.

2- الألوسي، روح المعاني، ج15، ص421-422.

3- الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص119.

- وقد أخبر القرآن الكريم أن إبليس له نسل وذرية، قال تعالى: ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)) [الكهف:50].

- كما أن أصل خلقه من مارج من نار وأصل الملائكة النور، قال تعالى: ((قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)) [الأعراف:12].

- لم يكن رسولا من الله تعالى لعباده أبداً، وكان الملائكة رسل الله تعالى لعباده دائماً.

10- أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان¹:

أ- البرهان على صدق الإيمان: ذلك أنهم ليسوا من عالم الشهادة، فكان الإيمان بهم اعتماداً على الأخبار الصادقة، مع عدم رؤيتهم، دليل على صدق الإيمان وتماه وصحته.

ب- تنمية الشعور بالمسؤولية ودوام المراقبة لله عزّ وجلّ: وهذا معناه أن نؤمن بمسؤوليتنا أمام الله تعالى في الدار الآخرة، من خلال اعتقادنا بأن هناك ملائكة كراما يحصون علينا كل صغيرة وكبيرة من أعمالنا.

ج- تقوية الشعور برحمة الله تعالى وعظمته: وذلك حينما يعلم الإنسان أن الله تعالى جلّت حكمته، قد وكلّ بهذا الإنسان من يحافظ عليه ويصونه ويستغفر له.

د- تقوية ثقة المسلم بنصر الله تعالى وتأييده: وذلك عندما يعتقد المؤمن أن هناك ملائكة قد كلفوا بنصره وتأييده مادام هو قائم على نصر دين الله تعالى ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم.

هـ- حمل الإنسان على التشبه بهم: في الإقدام على الطاعات، والابتعاد عن المعاصي، وذلك حينما يعلم أن الملائكة عليهم السلام دأبهم طاعة الله تعالى وتمجيده، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فيحمله ذلك على التشبه بهم والسير على نهجهم، فتقوى بذلك معانيه الروحية ويتدرج في مدارج الكمال.

1- مصطفى سعيد الحن ومحبي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص244-246. وينظر أيضاً: محمد علي الصلابي، الإيمان بالملائكة، ص178 وما بعدها.



عالم الجن



1- تعريف الجن:

أ- لغة: لكلمة الجن مشتقات كثيرة تتفق جميعاً من حيث اللغة في معنى واحد وهو: الستر والخفاء.

قال تعالى: ((فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ)) [الأنعام:76]، جنّ عليه الليل أي ستره وأظلمه¹.

ب- اصطلاحاً: كائنات مخلوقة خلقها الله تعالى من مارج من نار، لا يرون، وهم مدركون عاقلون مكلفون، يأكلون ويشربون ويتوالدون، لهم قدرة على التشكل في صور مختلفة، وهم محاسبون على أعمالهم في الآخرة².

2- الإيمان بوجود الجن:

دلّ الكتاب العزيز والسنة المطهرة بنصوص قاطعة لا احتمال فيها على وجود الجن.

-من ذلك قوله تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) [الذاريات:56]. ومنها قوله عزّ وجلّ: ((وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ)) [الأحقاف:29].

-وقد ورد في حديث مسلم في كتاب الزهد والرفائق من صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم".

* وإذا كان وجود الجن معلوماً من الإخبارات الإلهية بالضرورة، فقد أجمع المسلمون على أنّ الإيمان بوجود الجن من المستلزمات الأساسية للإيمان بالله تعالى عزّ وجلّ، وأنّ من أنكرهم استلزم الخروج من الإسلام، وإنكارهم يستلزم نتيجتين اثنتين:

-الأولى: إنكار شيء عُلِمَ بثبوته من الدين بالضرورة.

-الثانية: تكذيب الخبر المتواتر اليقيني الوارد إلينا عن الله تعالى وعن نبيّه صلى الله عليه وسلم³.

1- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص243-244.

2- مصطفى سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص532.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، ص279 وما بعدها.

3- طبيعة الجن:

أصل الجان أو العنصر الأول الذي خلق منه هذا المخلوق ورد في قوله عزّ وجلّ: ((وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ)) [الرحمن:15]. كما ورد أيضاً في حديث عائشة رضي الله عنها أعلاه.

4- بعض صفات الجن¹:

نحن لا نعرف صفات الجن وخلقهم وخلقتهم إلا بما عرّفنا الشرع منها:

أ- لهم قلوب وأعين وآذان: قال تعالى: ((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ)) [الأعراف:179].

ب- أنهم يتزوجون ويتوالدون: قال تعالى: ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)) [الكهف:50].

ج- أنهم مكلفون: قال تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) [الذاريات:56]. قال ابن حجر: "وإذا تقرر كونهم مكلفين فهم مكلفون بالتوحيد وأركان الإسلام، وأما ما عداه من الفروع فاختلف فيه لما ثبت من النهي عن الروث والعظم وأنهما زاد الجن".

د- أن منهم المسلم والكافر: قال تعالى مخبراً عن الجن قولهم: ((وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا)) [الجن:11]. قديماً، أي جماعات متفرقين، أي مسلمين وكافرين، صالحين وفاسدين.

ويمكن أن ندرج تحت هذه الصفة السؤال الآتي: ما دام النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الخلق كافة، فهل في الجن من يُعد صحابياً؟ ذكر ابن حجر أن ذلك محل نظر، والراجح دخولهم لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث إليهم قطعاً، وهم مكلفون، وفيهم الطائعون والعصاة.

ه- قدرتهم على التشكل: يمكن للجان أن يخرج عن أصل خلقته التي هي كونه لا يرى، فيتشكل ويرى. (قصة أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان الذي جاءه في صورة رجل هرم لما وكله النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة الفطر²).

1- ينظر: إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص244 وما بعدها.

2- البخاري، الصحيح، كتاب الوكالة، حديث2311.

و- لا يعلمون الغيب: قال تعالى: ((فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَمَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)) [سج:14]، قال ابن كثير: "لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون، ويوهمون الناس بذلك"¹.

5- هل الشيطان يؤذي ابن آدم جسدياً²؟

اختلفوا في ذلك إلى قولين:

أ- أحدهما: ذهب أصحابه إلى أنّ ذلك حاصل فعلاً، يقول ابن تيمية: "دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، كما قال تعالى: ((الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)) [البقرة:275]. وفي الحديث: "إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق". وقد يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب ضرباً كثيراً وهو لا يحس به (...). وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع والأدلة الشرعية لا تنفي ذلك"³.

- وممن ذهب إلى هذا الرأي واستدل له الإمام القرطبي في تفسيره للآية السابقة، حيث رأى أن في الآية إنكار على من أنكر الصرع وزعم أنه من فعل الطباع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس.

- وذهب ابن كثير إلى ذلك أيضاً في تفسيره لهذه الآية.

- وذهب إلى ذلك الإمام الألويسي، فقال أنّ الشيطان قد يمس الرجل وأخلطه مستعدة للفساد فتنفسد ويحدث الجنون.

- حديث المرأة التي تصرع، وقد علّق ابن حجر على رواية البزار "إني أخاف الخبيث أن يجردي"، قال: "وقد يؤخذ من الطرق التي أوردتها أن الذي كان بأم زفر كان من صرع الجن لا من صرع الخلط"⁴.

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص501.

2- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص260. مصطفى سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص545.

3- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج24، ص277.

4- ابن حجر، فتح الباري، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ، ج10، ص115.

ب- الثاني: وهو الذي لا يرى أنه يوجد تأثير مادي من الشيطان على الإنسان، وإنما التأثير هو نفسي فقط بالإغواء والتضليل وتزيين الباطل والكفر وفتنة الناس.

- من انتصر إلى هذا الرأي أبو علي الجبائي المعتزلي، الذي يرى أن الشيطان ضعيف ولا يقدر على صرع الناس وقتلهم. واستدل لذلك بقوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلُوْمُوا أَنْفُسَكُمْ)) [إبراهيم:22]. وقال أن "المس" الذي في الآية 275 من سورة البقرة (المذكورة أعلاه) إنما هو الوسوسة وليس الصرع كقول سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام: ((وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَيُّ مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ)) [ص:41].

6- هل يقع التزاوج بين الإنس والجن؟²

هناك عدة أقوال في هذه المسألة:

أ- الجواز: ذهب بعض العلماء إلى جواز التزاوج بين الإنس والجن، رغم عدم الانسجام بين الجنسين. يقول ابن تيمية في ذلك: "وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد وهو كثير معروف، وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه، وكره أكثر العلماء مناكحة الجن"³.

- كما ذهب إلى جواز ذلك الإمام القرطبي واستدل بقوله تعالى: ((فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ مِنْ قَبْلُهُمْ وَلَا جَانٌّ)) [الرحمن:56]. فقد وصف الحق عز وجل الحور العين بأنه لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان يعلمك أن النساء الآدميات قد يطمئنهن الجان"⁴.

ب- المنع: وقد منعه الكثير من العلماء وهو المشهور والذي عليه المعول في هذه المسألة، واستدلوا بقوله تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) [الروم:21]. ووجه الاستدلال بهذه الآية أن الله تعالى امتن على الآدميين بأن جعل لهم من أنفسهم، أي من جنسهم حتى يحصل التآلف والمواءمة بين الاثنين، وهذا لا يتحقق مع اختلاف الجنس. وأيضاً امتن عليهم بأن جعل بينهم المودة والرحمة وهذا لا يمكن أن يحصل إذا اختلف الجنس.

1-أنظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج26، ص396.

2- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص264.

3- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج19، ص39.

4- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص281.

7- عداوة إبليس للإنسان¹:

لقد بين لنا الله تعالى خطر إبليس وخطرنا من مكائده وفتنته، وتمثل عداوته فيما يأتي:
أ- الإغواء وتزيين الباطل: ويشمل الكفر والحرام وأكل الربا والزنا وعقوق الوالدين. قال تعالى:
(وَعَادَا وَهَوَدًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ)) [العنكبوت:38].

ب- الوسوسة: فمن الوسائل التي يستعملها إبليس وذريته مع الإنسان الوسوسة، والوسوسة هي الخواطر الرديئة، وأصلها من الوسواس وهو الهمس الخفي. قال تعالى: ((فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى)) [طه:120].

ج- الإيعاد بالفقر: الشيطان يثير في نفس الإنسان الحرص والشح، والتكالب على الدنيا ويخوفه من الفقر. قال تعالى: ((الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) [البقرة:268]. وقال صلى الله عليه وسلم: "إن للشيطان لمة بآدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب للحق. وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان"².

د- إلقاء العداوة بين الناس: ومن مكائد الشيطان التي لا تنتهي إثارة الفتن وإلقاء العداوة بين الناس والتحريض على الخصومة بينهم وخاصة بين المسلمين. قال تعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحُمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)) [المائدة:91].

1- ينظر: إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص252 وما بعدها.

2- الترمذي، السنن، كتاب تفسير القرآن، حديث2988. تحقق: أحمد شاکر وفؤاد عبد الباقي، ط2، دار الفكر 1975.



المحور الثاني اليوم الآخر





**طريقة القرآن الكريم
في عرض الحياة الآخرة وإثباتها**



مقدمة:

إذا كانت العقيدة الإسلامية تعتمد فيما تعتمد على قضايا غيبية، فإنّ الإيمان باليوم الآخر أو الإيمان بالحياة الآخرة يأتي على رأس هذه الغيبيات، حيث أن كل ما يتصل بالحياة الآخرة هو من عالم الغيب بالتمام، ابتداء من لحظة الغرغرة مروراً بالموت والبعث والحساب، ونهاية باستقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. وقد اعتنى القرآن الكريم بالحياة الآخرة من شتى الجوانب ومن بين هذه الجوانب طريقة عرضه لهذه الحياة الآخرة وإثباتها. وهذا ما سنحاول في هذه المحاضرة التطرق إليه إن شاء الله تعالى من خلال مجموعة من العناصر الأساسية: التعريف باليوم الآخر، وبيان عناية القرآن الكريم به، ثم التطرق إلى مسالك القرآن الكريم في عرض اليوم الآخر وإثباته.

1- مفهوم الإيمان باليوم الآخر:

أ- مفهوم اليوم الآخر: "المراد باليوم الآخر أمران: الأول: فناء هذه العوالم كلها وانتهاء هذه الحياة الدنيا كلها. والثاني: إقبال الحياة الأخرى وابتدائها. فدلّ لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الدنيا، وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية"¹.

ويذهب ابن حجر رحمه الله تعالى وهو يبيّن سبب تسميته باليوم الآخر إلى أن اليوم الآخر قيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة².

ويبدأ اليوم الآخر بفناء هذا العالم، وموت كل من فيه من الأحياء، وتبديل السماوات والأرض، ثم ينشئ الله تعالى النشأة الأخرى، ويبعث الناس جميعاً، وبعد البعث يحاسب المولى عزّ وجلّ كل فرد على ما قدم من خير أو شر، فمن ثقلت موازين أعمال الخير عنده فهو من أهل الجنة، ومن خفّت موازين أعمال الخير عنده وثقلت موازين أعمال الشر عنده فهو من أهل النار.

1- أبوبكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص311.

2- ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص118.

ب- مفهوم الإيمان باليوم الآخر: "وهو الإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى عن طريق الوحي مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراف والشفاعة والجنة والنار، وما أعدده الله تعالى لأهلها جميعاً"¹.

2- أسماء اليوم الآخر:

جاء ذكر اليوم الآخر في القرآن الكريم متعدد الأسماء، وكل اسم من هذه الأسماء يدل على معنى يخص هذا اليوم، ويشير إلى أهميته بوجه أو بآخر في حياة ووجود الإنسان، نذكر منها الآتي:

- يوم القيامة: لأن الناس يقومون فيه للحساب والجزاء. قال تعالى: ((وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)) [القيامة:85].

- يوم التغابن: لأن الكفار والمنافقين والعصاة يغبنون فيه. قال جلّ وتعالى " ((يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ)) [التغابن:9].

- يوم الحسرة: لتحسّر العباد وتندّمهم في ذلك اليوم، كافرهم على كفره ومؤمنهم على تقصيره. قال عزّ وجلّ: ((وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)) [مريم:39].

- يوم البعث: لإحياء الله تعالى الموت وبعثهم من قبورهم. قال تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) [الروم:56].

- الطامة الكبرى: لأنه اليوم الغالب والطاغي على كل شيء. قال عزّ وجلّ: ((فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى (34) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبُرَزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى)) [النازعات:34-36].

- القارعة: لأنه يقرع القلوب بأهواله. قال الله تعالى: ((كَذَبَتْ مَثْوًى وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ)) [الحاقة:4].

- الغاشية: لأنه يغشى الناس بأفزاعه ويغمهم، والكفار تغشاهم النار. قال تعالى: ((هَلْ أَتَاكَ

حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً)) [الغاشية:1-4]².

1- محمد نعيم ياسين، الإيمان، (د.ط)، الإسكندرية، دار عمر بن الخطاب (د.ت)، ص 43.

2- محمد عياش الكبيسي، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، ص 277 وما بعدها. وإبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص 273-274. حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 628-630.

3- مظاهر عناية القرآن الكريم باليوم الآخر:

عُني القرآن الكريم بتقرير الإيمان باليوم الآخر اعتناء كبيراً، كما أولاه أهمية بالغة لخطورته في حياة الإنسان ووجوده الدنيوي أو الأخروي. ويظهر لنا بعض ذلك جلياً وواضحاً من خلال الآتي:

أ- ربط الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله تعالى مباشرة: يقول الله تعالى: ((لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) [البقرة:177]. ويقول عز وجل: ((وَأِلَىٰ مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ)) [العنكبوت:36]. ويقول أيضاً: ((ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) [البقرة:232]. هذا الارتباط بين الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر كما بينته هذه الآيات الكريمات له خصوصية انطلاقاً من أنّ الإيمان بالله تعالى يحقق المعرفة بخالق هذا الكون، ويجب عن سؤال من أين أتى الإنسان وهذا الكون؟ والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الإنسان والكون، ويجب عن سؤال ما هو مصير الإنسان والكون؟ وبناء عليه ومن خلال هذه المعرفة بالمصدر والمصير، يمكن للإنسان أن يحدد ويرسم حياته ووجوده.

ب- إكثار القرآن الكريم من ذكر اليوم الآخر: حيث لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من الحديث عنه أو الإشارة إليه، وما سيكون فيه من أحداث، ومن ثمة محاولة تقريبه إلى الأذهان لتتخيله وتتصوره بالحجج والبراهين الأنفسية والآفاقية، وضرب الأمثال مع ما يحملها هذا الأسلوب من تأثير كبير في القلوب وتنبهها واستمالتها إلى احتضان نور الإيمان.

ج- إطلاق القرآن الكريم أسماء كثيرة على اليوم الآخر: وهذا ما لاحظناه أعلاه حول تعدد وتنوع ذكر أسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم، حيث لم تجيء تكراراً مرادفاً لمعناه، وإنما جاءت لترسم مشاهد متنوعة، كل اسم يدل بمرده على مشهد من مشاهد ذلك اليوم العظيم¹.

4- حكمة اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر:

تظهر الحكمة والمقصد من اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر من خلال ما يأتي:
أ- لما لليوم الآخر من أثر عظيم في حياة الإنسان وفي توجيهه وتصحيح سلوكه وانضباطه ووقفه مع العمل الصالح.

1- محمد نعيم ياسين، الإيمان، ص 43.

ب- كذلك فقد جاء هذا الاهتمام من منطلق رد القرآن الكريم على مشركي العرب الذين كانوا ينكرونه. فقد حكى القرآن الكريم عنهم ذلك في قوله تعالى: ((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)) [الجنائفة:24]¹.

ج- أهل الكتاب وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر إلا أن تصورهم عنه بلغ منتهى الفساد. كما أن الوثنيات القديمة كذلك لها تصورات فاسدة عن هذا اليوم، فجاء القرآن الكريم ليصحح هذه التصورات الفاسدة².

د- كذلك كثرة نسيان الإنسان له وغفلته عنه بسبب ركونه إلى الأرض وحبه للدنيا³.

5- مسلك القرآن الكريم في عرض الحياة الآخرة:

سلك القرآن الكريم في عرض الآخرة وإثباتها مسلكاً قوياً يجمع بين ما فطرت عليه النفوس من الإيمان، بما تشاهد وتحس ويقع تحت تأثير السمع والبصر، وبين ما تقرره العقول المستقيمة ولا يتنافى مع الفطرة السليمة. فإذا تدبرنا الآيات القرآنية التي تبحث في الآخرة فإننا نجدتها تحت على استنهاض العقل الإنساني من غفلته والنفوس من شهواتها لأجل أن تضطرها إلى الوقوف على وجود حياة الآخرة حقيقية وإثباتها. وقد جاءت القرآن الكريم في إثبات ذلك على طرق متعددة منها:

أ- مسلك الاستدلال على الحياة الآخرة بالنشأة الأولى:

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّنْ أَرْسَلْنَا بِكُمْ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ نَفْسٍ ثُمَّ مِنْ عِلْمٍ ثُمَّ مِنْ مِثْلِهِ مِثْلَهُ وَغَيْرِ مِثْلِهِ)) [الحج:5-7]. فمن قدر على خلق الإنسان في أطوار متعددة لا يعجز عن إعادته مرة أخرى، بل إن الإعادة أهون من البدء في حكم العقل والتجريب، كما قال الله عز وجل: ((وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)) [يس:78-79]⁴.

1- سيد سابق، العقائد الإسلامية، ص 264-265.

2- أنظر: فرج الله عبد الباري، يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، ط1، القاهرة، دار الآفاق العربية 2004.

3- محمد نعيم ياسين، الإيمان، ص 44.

4- محمد علي الصلاحي، الإيمان باليوم الآخر، ص 135 وما بعدها.

ب-مسلك التنبيه على المشاهد الكونية المحسوسة الدالة على إمكان الآخرة:

قال الله عزّ وجلّ: ((وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهَيْجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ)) [الحج:5-7]. فإحياء الأرض الميتة بالمطر وظهور النبات فيها دليل على قدرة الخالق جلّ وعلا على إحياء الموتى وقيام الساعة¹.

ج-مسلك التنبيه على قدرة الله تعالى الباهرة في خلق الأعظم:

قال الله تعالى: ((أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) [يس:81-82]. فخالق السماوات والأرض على عظمهما قادر على إعادة خلق الإنسان الصغير، كما قال عز وجل: ((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) [غافر:57]. وقال الله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) [الروم:27]، فالعقل يحكم والمشاهدة تحكم على أن القادر على الأجل أقدر على الأيسر والأهون².

د- مسلك التنبيه على العناية بالخلق وعدم تركهم سدى:

الحكيم لا يترك الناس سدى، ولا يخلقهم عبثاً، لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يجزون على أعمالهم. قال الله تعالى: ((أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)) [القيامة:36]. وقال عزّ وجلّ: ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)) [المؤمنون:115]. وإلى هذا نبه القرآن الكريم أيضاً في قوله تعالى: ((وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ)) [الحجر:85]. فمن البين أن من أعمل نظره في

1- عبد الله سراج الدين، الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، ط2، حلب، مطبعة الأصيل 1984، ص5 وما بعدها. أنظر: محمد منظور رمضان، منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة البعث. وسعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص376. ويوسف ابن عبد الله بن يوسف الوابل، أشراف الساعة، ط4، المملكة العربية السعودية، دار ابن حزم 1994، ص33.

2- يوسف ابن عبد الله بن يوسف الوابل، أشراف الساعة، ص34. وإبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية، ص286. أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص214.

هذه المخلوقات، وتدبر ما فيها من إحكام وإتقان ونظام، حيث كل شيء خلق بمقدار، وكل شيء خلق لغاية وأمد في تحقيق هذه الغاية ويكفل وجودها وقيامها إن هو سار على النهج الذي اختاره الله تعالى له وأراد. قال تعالى: ((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) [آل عمران: 191]¹.

د- مسلك التنبيه على أن حكمة الله تعالى وعدله يقتضيان أن تكون حياة أخرى بعد هذه الحياة للحساب والجزاء: لما في ذلك من التسوية بين المحسن والمسيء، والصالح والطالح، والظالم والعدل، فتعالى الله عز وجل أن يساوي بين أولئك. قال جلّ وتعالى: ((أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)) [ص: 28]².

1- عبد الله سراج الدين، الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، ص 9 وما بعدها. إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية، ص 289.

يوسف ابن عبد الله بن يوسف الوابل، أشراف الساعة، ص 34.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.



مسؤولية الإنسان العظمى والحياة الآخرة



مقدمة:

خلق الله تعالى الإنسان وكرّمه واستخلفه في الأرض، وسخر له هذا الكون بأسره، وجعله حراً مختاراً، وكلفه، وأمام هذا التكليف جعل الحياة أمامه ميداناً فسيحاً للاختبار وللابتلاء، وحدد له من خلال ذلك مسؤوليته أمامه عزّ وجلّ، ثم جعل له الجزاء في الحياة الآخرة على ذلك كله، حيث يقوم الناس لربّ العالمين، إنه يوم الحساب والجزاء والثواب والعقاب. وسنعمل على إبراز ذلك إن شاء الله تعالى من خلال محاضرات متسلسلة نبدأها بالحياة البرزخية.



الحياة البرزخية



تبدأ الحياة البرزخية بلحظة الموت، اللحظة التي يموت فيها الإنسان ويفارق الحياة، قال تعالى: ((وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)) [ق:19]. فإذا مات الإنسان انتقل إلى عالم جديد هو عالم البرزخ. فما هو هذا العالم؟ وماذا يحدث فيه؟

1- تعريف البرزخ:

أ- لغة: البرزخ هو الحاجز بين شيئين. قال تعالى: ((بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ)) [الرحمن:20]، أي حاجز¹.

ب- اصطلاحاً: يطلق البرزخ في الاصطلاح الشرعي على الحياة التي تعقب موت الإنسان والفترة التي يقضيها بين خروجه من الدنيا ودخوله في الآخرة². قال تعالى: ((وَمَنْ وَّرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)) [المؤمنون:100].

أ- أو هو العالم الذي يتوسط بين الدنيا والآخرة.

أ- أو هو "العالم الذي ينتقل إليه الإنسان بعد الموت، ويبقى فيه إلى يوم البعث؛ فهو عالم واقع بين عالم الدنيا وعالم الآخرة"³.

2- دليل الحياة البرزخية من القرآن الكريم والسنة النبوية:

الحياة البرزخية إذاً هي مرحلة من مراحل الجزاء الرباني بالثواب أو العقاب دلّ عليها جملة من نصوص الكتاب العزيز والسنة النبوية.

أ- من القرآن الكريم:

- قوله تعالى: ((حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)) [المؤمنون:99-100]. وقوله عزّ وجلّ: ((النَّارُ يُعْرَضُونَ

1- ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص8.

2- السفاريني، لوايح الأنوار البهية، ج2، ص4.

3- عبد الله سراج الدين، الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، ص40.

عَلَيْهَا غُدُوءًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)) [غافر:46]. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: " هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور"¹.

ووجه دلالة هذه الآية على أن هناك حياة برزخية وأن هناك عذاب في القبر، أن الله تعالى ذكر نوعين من العذاب، عذاب يصلاه فرعون وقومه غدواً وعشياً قبل عذاب جهنم يوم القيامة، وعذاب آخر سينالهم يوم القيامة، فدل ذلك على أن العذاب الأول هو عذاب القبر، ومنه دلالة على وجود عالم البرزخ².

ومنه أيضاً قوله تعالى: ((سُنْعَدِبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ)) [التوبة:101]³. وقوله عزّ من قائل: ((وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) [الطور:47]⁴.

ب- من السنة النبوية:

- ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن يكن من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن يكن من أهل النار فمن أهل النار، يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة"⁵.

- وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى. كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة. ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا، أو إلى أن ييبسا"⁶.

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص146. راجع أيضاً في تفسير هذه الآية: الرازي، مفاتيح الغيب، ج27، ص521.

2- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص297.

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص205.

4- الألوسي، روح المعاني، ج14، ص40.

5- البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، حديث 1379. ومسلم، الصحيح،

كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، حديث 2866.

6- البخاري، الصحيح، كتاب الوضوء، باب من الكبائر ألا يستتر من بوله، حديث 215. ومسلم، الصحيح، كتاب الطهارة،

باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، حديث 111.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن القرآن الكريم لم يتعرض للخصوصيات التفصيلية لعالم البرزخ، بل تعرضت السنة النبوية لها، نذكر منها:

3- ضمة القبر:

لا ينجو أحد من ضمة القبر، سواء كان صغيراً أم كبيراً، صالحاً أم طالحاً، كافراً أم مؤمناً، سيضمهم القبر ضمة¹. أما المؤمنون فيضمهم في أول نزولهم، ثم يفسح عنهم، وأما الكافرين فتستمر عليهم ضمة القبر حتى تختلف أضلاعهم إلى ما شاء الله تعالى. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجياً منها؛ نجا سعد بن معاذ"².
- ذكر بعض أهل العلم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس عليهم ضمة القبر³.

- وقد قيل كلاماً متنوعاً مختلفاً في سبب ضمة القبر، منه أنها أهمهم، ومنها خلقوا، فلما ردوا إليها ضمتهم ضم الوالدة التي غاب عنها ولدها طويلاً. فإذا كان هذا العائد إليها الله تعالى مطيعاً ضمته برأفة وحنو، وإن كان عاصياً ضمته بعنف سخطاً منها عليه لربها⁴. وهذا الكلام فيه نظر من حيث أن ضمة القبر ليست من باب السرور للمؤمن بل هي من باب الفزع والأهوال عليه.

- كما قيل أنّ ضمة القبر من العقوبات التي تصيب المؤمن جزاء تقصيره وتفريطه في جنب الله تعالى، وأنه لم يشكر نعمة الله تعالى. ولكن هذا يرد عليه أنه لو كان صحيحاً لكانت ضمة القبر في حق المكلفين فحسب، فكيف وضمة القبر تشمل كل عائد إليها حتى ولو كان صيباً⁵؟

وبناء عليه يمكن القول أنّ "ضمة القبر من أهوال القبور التي تصيب المكلفين، سواء كانوا مؤمنين أم كافرين، فلا ينجو منها أحد كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وهي كالأهوال والمصائب والأمراض التي تكون في الدنيا ويبتلي الله تعالى بها جميع خلقه، وتختلف هذه الأهوال

1- عمر سليمان الأشقر، القيامة الصغرى، ط4، عمان، دار النفائس 1991، ص43. وسعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص379.

2- أحمد، المسند، رقم الحديث 24283. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة 1420، ج4، ص327.

3- الشريف عبد الله بن علي الحازمي، دراسات عقديّة في الحياة البرزخية، ط1، بيروت، دار ابن حزم 2011، ص330.

4- المرجع نفسه، ص332-333.

5- المرجع نفسه، ص333-334.

والمصائب والأمراض باختلاف حال من تصيبه من الشدة والتخفيف والاستمرار والانقطاع، والله أعلم¹.

4- فتنة القبر وسؤال الملكين:

إذا مات الإنسان أرسل الله تعالى إليه ملكين بشكل مفرغ مخيف، فسألاه عن الدين الذي عاش عليه، وعن علمه بهذا الرجل الذي سمع عنه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فمن كان قد ثبته الله تعالى بالقول الثابت، ومات على الحق وختم له بالحسنى - نسأل المولى عزّ وجلّ أن نكون منهم - ألهمه الله تعالى الجواب على سؤال الملكين، دون أن يؤثر عليه مظهرهما المخيف. ومن لم يكن معتصماً بمجبل الإيمان في حياته الدنيا ومات على ما عاش عليه من لهو وعصيان وإدبار عن الحق - نعوذ بالله تعالى أن نكون منهم - ملأ الله تعالى قلبه فرعاً منهما، فغاب عنه الجواب المطلوب ولم يستطيع جواباً على ما يقولان².

- وهذه الحقائق الغيبية التي لا يلامسها إلا من انتهى إلى ذلك المنتهى، دلت أحاديث صحيحة كثيرة بلغت في مجموعها حد التواتر، ولذا كان إجماع المسلمين كلهم على الإيمان بذلك طبقاً لما دلّ عليه الخبر اليقيني³.

- هذا، ولم ينكر سؤال الملكين (منكر ونكير) إلا أبو الهذيل العلاف (ت227هـ)، وضرار بن عمرو، وبشر المريسي (ت219هـ) من المعتزلة. وقالت الكرامية⁴: "إن منكرا ونكيراً هما الملكان اللذان وكلا بكل إنسان في حياته"⁵.

- مما يستدل به من القرآن الكريم على سؤال الملكين قوله تعالى: ((يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)) [إبراهيم: 27].

1- المرجع نفسه، ص335.

2- محمد علي الصلابي، الإيمان باليوم الآخر، ص70. وسعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص379-382. وعمر سليمان الأشقر، القيامة الصغرى، ص44 وما بعدها.

3- السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ج2، ص5.

4- هم أصحاب أبي عبد الله بن محمد بن كزّام، يثبتون الصفات ولكنهم يقولون فيها بالتشبيه إلى حد التجسيم. أنظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة (د.ت)، ص215.

5- البغدادي، أصول الدين، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية 1401هـ، ص245-246.

- ومن السنة النبوية ما ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ((يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ))"¹.

5- عذاب القبر ونعيمه:

أجمع جمهور المسلمين على الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، انطلاقاً من تواتر الأدلة على ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

- من القرآن الكريم، كما رأينا سابقاً، قوله عزّ وجلّ: ((النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)) [غافر:46]. وقوله تعالى: ((سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ)) [التوبة:101]. وقوله تعالى: ((وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) [الطور:47]².

- ومن السنة النبوية، فضلاً عما تطرقنا إليه سابقاً، فعن عليّ رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ملاّ الله بيوتهم وقبورهم ناراً؛ شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس"³. وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه"⁴. وفي الواقع فإن الأحاديث الواردة في هذا شأن متعددة وكثيرة، وأقوال السلف رضي الله عنهم تثبت عذاب ونعيم القبر. قال ابن أبي العز الحنفي في شرحه للطحاوية: "وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين

1- البخاري، الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب ((يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ)) [إبراهيم:27]، حديث4699، ومسلم، الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، حديث2871.

2- علي محمد الصلابي، الإيمان باليوم الآخر، ص68-69.

3- مسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، حديث1043.

4- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه، حديث1286.

فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول"¹.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري: "وأنكرت المعتزلة عذاب القبر، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم، وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده، فوجب أن يكون إجماعاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم"².

وقال إمام الحرمين الجويني: "جمل من أحكام الآخرة المتعلقة بالسمع، فمنها عذاب القبر، ومساءلة منكر ونكير، والذي صار إليه أهل الحق إثبات ذلك، فإنه من مجوزات العقول، والله مقتدر على إحياء الميت، وأمر الملكين بسؤاله عن ربه ورسوله، وكل ما جوزه العقل، وشهدت له شواهد السمع لزم الحكم بقبوله، وقد تواترت الأخبار باستعاذة رسول الله صلى الله عليه وسلم بربه من عذاب القبر، ونقل آحاد من الأخبار في ذلك تكلف، ثم لم يزل ذلك مستفيضاً في السلف الصالحين قبل ظهور أهل البدع والأهواء"³.

6- الحكمة من عذاب القبر ونعيمه:

- إظهار فضل الله تعالى على عباده الصالحين في تنعيمهم في قبورهم، وإظهار قهر الله تعالى في إذلال عباده المكذبين العاصين وتعذيبهم في قبورهم قبل اليوم الآخر.

- قد يكون عذاب القبر مُكْفَرًا لبعض الذنوب والمعاصي التي أتاها العبد في الدنيا، فيكون ذلك تخفيفاً له من عذاب النار يوم القيامة.

- عندما يعلم المكلف بأن هناك عذاباً في القبر قبل يوم القيامة فإن هذا سيكون له رادعاً عن إتيان الذنوب والمعاصي في هذه الأولى.

1- ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، خرّج أحاديثها محمد ناصر الألباني، ط8، المكتب الإسلامي 1404هـ، ص399.

2- أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، (د.ط)، دمشق-بيروت، مكتبة دار البيان 1401هـ، ص181.

3- الجويني، الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الخانجي 1969، ص375.

-التحذير من بعض الذنوب والمعاصي التي يكون لها عقوبات خاصة في الحياة البرزخية، كعدم التستر من البول والنميمة¹.

*** وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: "قولوا اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات"². وهذا التعوذ يقال في الفرض والنفل في التشهد الأخير قبل السلام وبعد التحيات وبعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

1- علي محمد الصلابي، الإيمان باليوم الآخر، ص78-79.

2- مسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، حديث 128.



أشراط الساعة الصغرى



مقدمة:

- قال الله تعالى: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) [الأعراف:187].

- قال الله عز وجل: ((يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا)) [الأحزاب:65].

- قال الله تعالى: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42) فِيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (43) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (44) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا)) [النازعات:42-45].

- في حديث جبريل عليه السلام الطويل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"¹.

وإذا كان الله تعالى قد أخفى وقت الساعة عن عباده، فإنه أعلمهم بعلامات وأمارات تدل على قرب وقوعها. وقد سمي القرآن الكريم هذه الأمارات والعلامات بأشراط الساعة. قال تعالى: ((فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ)) [محمد:18].

1- تعريف الأشراط:

أ- لغة: الأشراط من "الشَرَط" بفتحتيْن: العلامة، و"الأشراط": العلامات. فيكون على ذلك أن المقصود من أشراط الساعة: علامات الساعة. قال الجوهري رحمه الله تعالى: "أشراط الساعة علاماتها"².

ب- اصطلاحاً: أشراط الساعة: هي العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها، يقول الحافظ ابن حجر: "المراد بالأشراط العلامات التي يعقبها قيام الساعة"³.

1- سبق تحريجه.

2- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصباح العربية، مادة (ش ر ط)، ج3، ص1136.

3- ابن حجر، فتح الباري، ج13، ص97.

وهي نوعان: صغرى وكبرى، والصغرى هي التي ظهرت وتظهر إلى اليوم، ولا زالت مستمرة في الظهور، وأما الكبرى فهي التي تظهر في آخر الزمان، وتكون علامة على قرب قيام الساعة. وفيما يأتي تفصيل لذلك إن شاء الله تعالى¹.

2- علامات الساعة الصغرى²:

علامات القيامة الصغرى أو أشراط الساعة الصغرى يمكن تقسيمها إلى قسمين: علامات ظهرت وانقضت، وعلامات ظهرت ولم تنقض ولا زالت في الظهور والازدياد.

القسم الأول: وهي التي ظهرت وانقضت، منها الآتي:

أ- بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بعثت أنا والساعة كهاتين" وقرن بين السبابة والوسطى³. فقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أن بعثته علامة من علامات الساعة ودليل على قرب قيامها.

ب- انشقاق القمر: وقد نزلت سورة قرآنية بهذا العلامة، قال تعالى: ((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)) [القمر:1]. وقد وقع ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "قد كان هذا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأنه إحدى المعجزات الباهرات"⁴. أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اشهدوا"⁵.

القسم الثاني: وهي التي ظهرت ولم تنقض ولا زالت في الظهور والازدياد، منها الآتي:

- 1- مصطفى أبو النصر الشلي، صحيح أشراط الساعة، ط2، جدة، دار السوادي للتوزيع 1994، ص22.
- 2- أنظر للاستزادة: سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص390 وما بعدها. عمر سليمان الأشقر، القيامة الصغرى، ص135 وما بعدها. محمد نعيم ياسين، الإيمان، ص53 وما بعدها. يوسف ابن عبد الله بن يوسف الوابل، أشراط الساعة، ص79 وما بعدها. إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة، ص302 وما بعدها. مصطفى أبو النصر الشلي، صحيح أشراط الساعة، ص25 وما بعدها.
- 3- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، حديث 6504 و 6505.
- 4- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص235.
- 5- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، حديث 3871.

أ- سيادة الحمقى واللثام: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع"¹. أي: حتى يكون اللثام الحمقى ونحوهم رؤساء الناس.

ب- انقلاب الأوضاع: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة"².

ج- إسناد الأمر إلى غير أهله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكروه ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: "فإذا ضيبت الأمانة فانتظر الساعة. قال كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"³. ذلك أن الأمر إذا أسند إلى غير أهله حصل فساد كبير.

د- ظهور الفتن: أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من أشراط الساعة ظهور الفتن، وهي كل مكروه أو ما يؤول إلى مكروه كالإثم والكفر والقتل وغير ذلك. هذه الفتن التي يلتبس فيها الحق بالباطل وتفضي إلى زلزلة الإيمان، حتى يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بادروا بالأعمال، فتناً كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا"⁴.

وأحاديث الفتن كثيرة، حيث حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الفتن وأمر بالتعوذ منها.

هـ- قبض العلم وظهور الجهل: من علامات الساعة التي أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم قبض العلم وظهور الجهل. فعن أبي موسى وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما قالاً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بين يدي الساعة لأيّاماً ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل"⁵.

1- أحمد، المسند، حديث 222214.

2- ابن ماجه، السنن، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، حديث 4036.

3- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو منشغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، حديث 59.

4- مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن،

5- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الفتن، حديث 6653.

وذهاب العلم قد يكون بمحوه من القلوب، أو بموت العلماء وقبضهم، أو بعدم العمل به. وهناك الكثير من الأمارات التي حوتها كتب الحديث الشريف مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن والزلازل والأحداث والملاحم التي تقع بين يدي الساعة وقد وقع معظم ذلك.

3- دلالة أشراط الساعة الصغرى على صدق النبوة:

إنّ الحديث عن أشراط الساعة لا تنحصر فائدته فقط في معرفة قرب وقوعها، بل أيضاً في صدق الرسالة الخاتمة، رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم. فمن أعظم دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إخباره عن أحداث وقعت في زمانه وأحداث وقعت بعد موته صلى الله عليه وسلم، وعن أحداث تقع قبل قيام الساعة، كما رأينا، وهذا من أدلة صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بإخباره بالغيب. فإخباره صلى الله عليه وسلم بهذه الأشرط الغيبية يضيف حتماً دليلاً جديداً إلى أدلة صدق نبوته عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وربما سيكون الناس بحاجة إلى هذا الدليل يوم تقوى الفتن وتضطرب العقول وينسى أهل البيان بيانهم فلا يعودون يدركون إعجاز القرآن الكريم البياني، والله أعلم¹.

1- محمد عياش الكبيسي، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، ص 284-285.



أشراط الساعة الكبرى



مقدمة:

بعد أن تطرقنا في المحاضرة السابقة إلى الحديث عن أشراف الساعة الصغرى بالاقصراف على ذكر بعضها، سنحاول أن نتناول في هذه المحاضرة إن شاء الله تعالى أشراف الساعة الكبرى، وقد سميت بذلك لأنها تدل على دنو قيام الساعة، وهي التي إذا ظهرت آمن الناس جميعا حين لا ينفع الإيمان حينئذ. قال الله تعالى: ((هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ)) [الأنعام:158]. ولكن قبل أن نشرع في الحديث عنها نحاول أن نقدم بالفرق بينها وبين الأشراف الصغرى حتى تتضح الصورة أكثر.

1- الفرق بين أشراف الساعة الصغرى والكبرى:

- أشراف الساعة الصغرى: هي التي تتقدم الساعة الكبرى بأزمان بعيدة متطاولة، وتكون في أصلها من نوع المعتاد، كظهور الفتن، وتوسيد الأمر إلى غير أهله، والتطاول في البنيان، وقبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمر إلى ما هنالك من الأشراف الصغرى. وهي التي إذا ظهرت فإن باب التوبة يبقى مفتوحاً.

- أما أشراف الساعة الكبرى: فهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة وتقاربها مقارنة وشيكة سريعة، وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع، وخارقة للعادة، كظهور الدجال ونزول عيسى عليه السلام إلى غير ذلك من العلامات الكبرى¹.

2- علامات الساعة الكبرى:

عن حذيفة بن أسيد قال: "أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من علية ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قلنا: نتذاكر الساعة قال: إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، والدجال وعيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها، وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى المحشر تنزل معهم إذا نزلوا وتقبل معهم إذا قالوا"².

1- مصطفى أبو النصر الشلي، صحيح أشراف الساعة، ص22.

2- مسلم، الصحيح، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، حديث2901.

وقد اختلف أهل العلم في ترتيب هذه الأشرطة؛ حيث أنه جاء ذكرها في الحديث أو الأحاديث التي ذكرتها مجتمعة دون ترتيب، وذهبوا إلى أن ترتيبها في الذكر الذي جاءت به لا يقتضي ترتيبها في الوقوع، فقد جاء العطف فيها بالواو وذلك، كما قالوا، لا يقتضي الترتيب¹.

وحسبنا في هذا المقام أن نشرح هذه الأشرطة كما وردت في الحديث الذي تقدم.

أ- **الدخان**: أول هذه الأشرطة المذكورة في الحديث النبوي هي الدخان، وهذه الأمانة أو العلامة ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [الدخان:10-11]. فمن علامات الساعة وأشراتها ظهور دخان قبل قيام الساعة يملأ الأرض كلها فتصبح كبيت أوقد فيه، فيأخذ بالمؤمنين كالزكمة ويدخل منافذ الكفار والمنافقين فينتفخون حتى يخرج من كل مسمع منهم. فقد روى الطبراني: "إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة والثالثة الدجال"².

وقد أجمع المسلمون على أنّ الدخان علامة من علامات الساعة ولكن اختلفوا في هل هذه الآية مضت وانقضت أم أنها لم تأت بعد؟ وما ذهب إليه الأكثر هو أن هذه العلامة لم تظهر بعد³.

ب-الدجال:

الدجال مأخوذ من الدجل بمعنى الكذب، أو بمعنى التمويه والتغطية، وسمي بذلك لأنه يُمويه ويغطي الحق بالباطل. وسمي مسيحاً لأنه ممسوح العين أي: أعورها، وهو قبيح الشكل والصورة مكتوب بين عينيه: كافر. عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهرائي الناس فقال: "إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبية طافية"⁴. وقد حذر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من خطورة الدجال، حيث إن فتنته أعظم فتنة على

1- يوسف ابن عبد الله بن يوسف الوابل، أشرطة الساعة، ص239.

2- قال ابن كثير في تفسيره عن هذا الحديث: إسناده جيد. ج4، ص165. أنظر: مصطفى أبو النصر الشليبي، صحيح أشرطة الساعة، ص291.

3- مصطفى أبو النصر الشليبي، صحيح أشرطة الساعة، ص292.

4- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ((واذكر في الكتاب مريم))، حديث3439.

الإطلاق، وما من نبيٍّ إلا وحذّر أمته من فتنة الدجال، عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من نبي إلا قد أذّر أمته الأعور الكذاب، ألا إن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر"¹.

- ومن أوصاف الدجال أنه قصير، متباعد ما بين الساقين، لاعوجاج فيهما، مطموس العين كثير الشعر، شديد البياض، عظيم الجثة. عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إني حدثكم عن الدجال، حتى خشيت ألا تعقلوا، إن المسيح الدجال رجل قصير أفجح (= المتباعد بين الفخذين)، جعد، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة ولا جحراء (=غائرة مخفية كأنها دخلت في جحر)، فإن التيس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور"².

- وقد اتفقت روايات الحديث أن خروج الدجال يكون من قبل المشرق، وبالتحديد من بلاد فارسية يقال لها خراسان، ويجوب الأرض كلها باستثناء مكة والمدينة. وفتنة الدجال عظيمة وذلك بسبب ادعائه للألوهية، وما يخلق الله تعالى معه من الخوارق العظيمة التي تحيّر العقول وتبهر الناس. ومدة لبثه في الأرض أربعون يوماً، ويقتله سيدنا عيسى عليه السلام بفلسطين³.

- عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة الحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم". فقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالتعوذ من فتنة المسيح الدجال، ونبهنا على خطره وشره وأرشدنا إلى التمسك بالإسلام والتسلح بالإيمان وحفظ فواتح وأواخر سورة الكهف، والمداومة على قراءتها كل جمعة، دفعا لفتنة الدجال الذي هو ظاهر بالمعنى في هذا الزمان قبل أن يظهر حقيقة في آخر الزمان.

1- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ((ولتصنع على عيني))، حديث7408.

2- أبو داود، السنن، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، حديث3736.

3- مصطفى أبو النصر الشليبي، صحيح أشراف الساعة، ص205 وما بعدها. سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص395 وما بعدها. عمر سليمان الأشقر، القيامة الصغرى، ص224 وما بعدها. إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة، ص311-313. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، ط8: دمشق، دار الفكر 2000م، ص318.

ج- خروج الدابة:

"الدابة تعبير قرآني عن حيوان نكّل علم نوعه وشكله وهيئته إلى الله عزّ وجلّ. وهذا الحيوان يظهر للناس قبيل الساعة، والحكمة من ظهور الدابة تمييز المؤمن من الكافر، فتسم المؤمن بما يدل على إيمانه وتسم الكافر بما يدل على كفره"¹. قال تعالى: ((وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ)) [النمل:82]. فهذه الآية الكريمة جاء فيها ذكر الدابة، وأن ذلك يكون عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى وتبديلهم الدين الحق، وتماديهم في العصيان والفسوق، حيث لا تنجح معهم موعظة ولا تصرفهم عن غيهم تذكرة، فإذا صاروا إلى ذلك يخرج لهم الله تعالى دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك. دابة تعقل وتنطق على خلاف المعهود في الدواب، ليعلم الناس أن ذلك آية من عند الله تعالى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بادرُوا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، وخاصة أحدكم وأمر العامة"².

ويقول الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير": "وقد رويت في وصف هذه الدابة ووقت خروجها ومكانه أخبار مضطربة ضعيفة الأسانيد فانظرها في تفسير القرطبي وغيره إذ لا طائل في جلبها ونقدها".

د- نزول عيسى عليه الصلاة والسلام:

نزول عيسى عليه الصلاة والسلام إلى الأرض ثابت في بالكتاب والسنة الصحيحة المتواترة، وذلك علامة من علامات الساعة الكبرى. قال تعالى: ((وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا)) [النساء:159]. ووجه الاستدلال أن الضمير في "موته" عائد على عيسى عليه السلام، فيصبح المعنى: أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى سيؤمنون بعيسى عليه السلام إيماناً صحيحاً ولا يكون ذلك إلا قبل موته وبعد نزوله من السماء قبيل قيامة الساعة. سيعود

1- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، ص335. سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص411.

2- مسلم، الصحيح، كتاب الفتن، باب في بقية أحاديث الدجال، حديث2947.

إلى الأرض ليقيم شريعة الإسلام وأحكامه، حيث ينزل تابعا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مقتدياً بشريعته¹.

- كما ورد ذلك أيضاً في قوله تعالى: ((وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ)) [الزخرف:61]. فالضمير في "إنه" عائد على عيسى عليه السلام، والمعنى أن عيسى عليه السلام دليل على قيام الساعة. ويوضح هذا المعنى أكثر قراءة "لَعَلَّمَ" بفتح العين واللام؛ أي علامة عليها.

- أما الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان فهي كثيرة نوجز منها: عن النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها"، ثم يقول أبو هريرة واقروا إن شئتم: ((وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا)) [النساء:159]².

- ومن الأعمال التي يقوم بها عيسى عليه السلام عندما ينزل إلى الأرض: يكسر الصليب. يقتل الخنزير. - يضع الجزية، على معنى أنه يرفعها حيث يصبح الناس آنذاك على ملة واحدة وهي الإسلام. - يقتل الدجال حيث يدركه بباب لُدِّ بفلسطين فيقتله ويقضي على فتنته. - يقضي على يأجوج ومأجوج بدعائه عليهم. - يقضي بالأحكام الشرعية المحمدية إذ لا يأتي بتشريع جديد بل يأتي تابعا لسيد الأنبياء المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

- يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة ويتوفى ويصلي عليه المسلمون³.

هـ- خروج يأجوج ومأجوج:

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان لأقوام يبلغون من الكثرة مبلغاً عظيماً، ويفسدون في الأرض إفساداً كبيراً. وهم علامة من علامات الساعة الكبرى، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في موضعين

1- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى البقننيات الكونية، ص322 وما بعدها. سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص401 وما بعدها. مصطفى أبو النصر الشليبي، صحيح أشراف الساعة، ص251.

2- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، حديث3448.

3- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة، ص318. سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص405.

كما ورد ذكرها في السنة النبوية. قال الله تعالى: ((قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا)) [الكهف:94]. وقال جلّ وتعالى: ((حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ)) [الأنبياء:96].

فهذه الآيات الكريمة تدل على أن الله تعالى سخر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السد العظيم، ليحجز بين يأجوج ومأجوج والقوم المفسدين في الأرض وبين الناس، فإذا اقتربت الساعة اندك هذا السد وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير لا يقف أمامه أحد من البشر فماجوا في الناس وعاثوا في الأرض فساداً، وهذا علامة على قرب النفخ في الصور وخراب الدنيا وقيام الساعة¹.

كما ورد في السنة النبوية الكثير من الأحاديث في وصفهم وما يتعلق بهم منها:

- عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرعا يقول: "لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش فقلت: يا رسول الله أهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثرت الخبث"².

و- طلوع الشمس من مغربها:

و"معنى طلوع الشمس من مغربها، أنها تظهر من جهة المغرب في وقت الصباح على عكس ما هي عليه الآن من طلوعها من جهة المشرق، ولعل هذا بدء اختلال الكون؛ لأن طلوع الشمس هو آخر أمارات الساعة"³.

هذه الآية هي من أعظم العلامات التي تظهر في آخر الزمان وبظهورها يغلق باب التوبة. وقد ورد الإشارة إليها في قوله تعالى: ((هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ

1- سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص408. علي محمد الصلابي، الإيمان باليوم الآخر، ص118. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص333.

2- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، حديث3168.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص336. سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص412.

انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ)) [الأنعام:158]. وقد فسّرها النبي صلى الله عليه وسلم بأن المراد منها طلوع الشمس من مغربها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً"¹. وهذا الذي عليه أكثر المفسرين².

وقد وردت أحاديث كثيرة بهذه العلامة منها:

- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبسط يده ليتوب مسيء الليل ويبسط يده ليتوب مسيء النهار، حتى تطلع الشمس من مغربها"³.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض"⁴.

ز- الخسوفات الثلاثة:

يقال خسف المكان يخسف خسوفاً إذا ذهب في الأرض وغاب فيها⁵. ومنه قوله تعالى: ((فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ)) [القصص:81].

والخسوفات الثلاثة هي علامة من العلامات الكبرى على موعد قرب القيامة كما ورد في الحديث، خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب. وهذه الخسوفات لم تقع بعد كغيرها من الأشراف الكبرى التي لم يظهر شيء منها. وقد ذهب بعض من العلماء إلى أنها وقعت، والصحيح أنها لم تقع بعد لأنها ستكون عظيمة، والذي وقع هو بعض الخسوفات في أماكن متفرقة وفي أزمان متباعدة، كما أخبر الله تعالى في محكم تنزيله: ((فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ

1- مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل الله فيه الإيمان، حديث 157.

2- مصطفى أبو النصر الشليبي، صحيح أشراف الساعة، ص 299. إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة، ص 322.

3- مسلم، الصحيح، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، حديث 2759.

4- المصدر نفسه، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه التوبة، حديث 249.

5- ابن منظور، لسان العرب، ج 9، ص 76.

حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) [العنكبوت:40]¹.

قال ابن حجر: "وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة
قدرًا زائدًا على ما وجد، كأن يكون أعظم منه مكاناً أو قدرًا"².

ح- النار التي تحشر الناس إلى محشرهم:

آخر الآيات التي تكون قبل قيام الساعة نار تخرج من قعر عدن من أرض اليمن، تحشر الناس
إلى محشرهم. وقد سبق وأن ذكرنا الحديث الذي عدد فيه النبي صلى الله عليه وسلم أشراف الساعة
وذكر أنها عشر، قال: "وأخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم".
ومن عجائب هذه النار أنها تسوق الناس أمامها وتبيت حيث يبيتون وتقبل حيث يقبلون،
وتأكل من تخلف. وهذا الحشر هو في الدنيا قبل قيام الساعة، وهو آخر أشرافها، والحشر هو أرض
الشام³.

3- أثر العلم بأشراط الساعة في حياة الإنسان:

يمكن تلخيص أهم هذه الآثار فيما يأتي:

1- الإيمان بهذه الأخبار إذا تحققنا صدقها هو الإيمان بالله تعالى، والإيمان برسوله صلى الله
عليه وسلم، قال الله تعالى: ((ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [البقرة:2-5].

2- وقوع تلك المغيبات على النحو الذي حدثت به الأخبار يثبت الإيمان ويقويه.

3- تثبيت الإيمان بيوم القيامة، فوقوع الأحداث على النحو الذي جاءت به النصوص القرآنية
والحدِيثية دليل واضح صادق على كل الأخبار ومنها أخبار القيامة.

1- يوسف ابن عبد الله بن يوسف الوابل، أشراف الساعة، ص382.

2- ابن حجر، فتح الباري، ج13، ص84. أنظر: يوسف ابن عبد الله بن يوسف الوابل، أشراف الساعة، ص381-382.

3- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة، ص324.

4- الخوف من الله تعالى والحذر منه سبحانه، وذلك بطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه لأن يوم الحساب قد قَرُب، فأكثر علامات القيامة الصغرى قد وقعت، ونحن بين يديّ العلامات الكبرى، ثم القيامة. فانشقاق القمر، وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة التي تحققت قبل أربعة عشر قرناً، فكيف القرب الآن!؟

5- الزهد في الدنيا والإدبار عن التعلق بها، والإقبال على الآخرة بالطاعة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة.

6- العصمة من الفتن وآثارها المتضمنة في أشراط الساعة، وذلك بالعلم بها، وبخطورتها، وبكيفية المخرج والنجاة منها، وسبل التعامل معها، من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة.



يوم القيامة وأحداثه



بداية اليوم الآخر:

في آخر محاضرتنا الماضية تحدثنا عن آخر علامات الساعة، وقلنا أنّها نار تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر، عندئذ تكون قد تكاملت أشراف الساعة وجاء ميقات اللحظة التي ينتهي عندها أجل الدنيا بكل ما فيها، فيحدث تغيير عام في هذا الكون فتنشق السماء وتتناثر النجوم وتتصادم الكواكب وتتفتت الأرض وتغدو صعيدا جزرا، وتصبح الجبال كثيبا مهيبا، ويدمر كل ما عرفه الناس في هذا الوجود. هذه النهاية التي تنعدم عندها الحياة، وينهار نظام الكون وتتبدل معالمه وتنتشر أجزاءه، هو بدء ما يسميه القرآن الكريم، بالساعة وبيوم القيامة. قال تعالى: ((يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)) [إبراهيم:48]. ثم تمتد هذه البداية إلى حشر الأجساد وإعادة أرواحها إليها، ثم إلى ما يتبع ذلك من طول حساب وميزان واجتياز على الصراط، إلى أن يستقر أصحاب الجنة في الجنة ويستقر أصحاب النار في النار.

1- النفخ في الصور:

الصور لغة: هو البوق. أما شرعاً فهو مخلوق أعدّه الله تعالى ليحدث فيه النفختان. وقد سمي أيضاً بالناقور لشديد وعظيم النفخ¹. قال عز وجل: ((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ)) [يس:51].

- النفخة الأولى: هي نفخة الإمامة العامة. وهي ما أشار إليه الكتاب العزيز بالساعة عندما يحتل نظام الكون. قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)) [الحج:1-2]. وقال الله تعالى: ((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)) [الزمر:68]. والاستثناء من النفخ اختلف العلماء في حق

1- حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص533.

من يكون. ويرى الكثيرون أن الأولى بالمؤمن التوقف في تعيين الذين استثناهم الله تعالى، لأنه لم يصح في ذلك نصّ يدل على الحقيقة¹.

- النفخة الثانية: وهي نفخة الإعادة إلى الحياة بعد الموت، فيخرج أهل القبور من قبورهم، فيعيد الله الرفات من أبدان الأموات ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطون السباع وغيرها حتى تصير كهيئتها الأولى. ومن الآيات التي تدل على النفخة الثانية وهي نفخة البعث، قوله تعالى: ((مُّنْ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي مَقَامٍ يَنْظُرُونَ)) [الزمر:68]. وقوله تعالى: ((فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ)) [المدثر:8]².

2- البعث:

بعد النفخة الثانية يحدث البعث. وكلمة "البعث" جاءت في اللغة العربية بمعان متعددة منها: الإرسال، كإرسال الله تعالى الرسل عليهم السلام. و"الايقاظ"، كإيقاظ النائم. و"الإثارة"، كإثارة الناقة. و"الإحياء"، كإحياء الله تعالى للموتى³. وأما اصطلاحاً فتعني: "إعادة الإنسان روحاً وجسداً كما كان في الدنيا"⁴.

- يخرج الله تعالى الناس من الأجداث أحياء، فيقول الكفار والمنافقون حينئذ: ((قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)) [يس:52]، ويقول المؤمنون: ((هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)) [يس:52].

3- الحشر:

وبعد البعث يحشر الناس. والحشر في اللغة الجمع. وفي الشرع: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم. وهو المراد من قول الله تعالى: ((وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا)) [الكهف:47]. ((وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ)) [الأنعام:22]. فهذه الآيات تبين أن الله تعالى يحشر جميع الخلائق يوم القيامة للحساب.

1- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، ص339.

2- القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة: الصادق بن محمد إبراهيم، ط1، الرياض، دار المنهاج 1425هـ، ص479. سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص415-416.

3- ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص421-422.

4- سيد سابق، العقائد الإسلامية، ص269.

- والحشر يكون في الأرض المبدلة. قال تعالى: ((يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)) [إبراهيم:48]. وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأرض المبدلة فقال: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقُرْصَةِ النَّقِيِّ ليس فيها عَلمٌ لأحد"¹. و"العفراء" البيضاء المائلة إلى الحمرة. و"النقي" هو الدقيق الحوري، والمراد بذلك الأرض الجيدة، للدلالة على انبساطها. وبناء عليه فإن التغيير حاصل سواء كان تغييراً كلياً أم تغييراً جزئياً وهو ما صرّحت به النصوص الصحيحة².

- أما الكفار فيحشرون على وجوههم زيادة في إذلالهم لما كانوا عليه من التكبر على دين الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين. قال تعالى: ((وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا)) [الإسراء:97].

- وأما المؤمنون فيحشرون على أحسن صورة وأجمل هيئة جزاء بما عملوا وقدموا. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم. قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوهه كل حذب وشوك"³.

- وقد جاء في السنة الهيئة التي يحشر عليها الناس، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً. قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض"⁴.

- ومما ورد في هذا اليوم أنّ الشمس تدنو من رؤوس الخلائق ويعرق الناس حتى يبلغ العرق ركبهم وأفواههم وهناك من يغطيهم. عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تدنو

1- مسلم، الصحيح، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور، حديث2790.

2- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة، ص327-328.

3- أحمد، المسند، باب ومن سورة بني إسرائيل، حديث3067.

4- مسلم، الصحيح، كتاب الجنة صفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث2859.

الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا يغلي منها الهوام كما يغلي القدرور يعرقون فيها على قدر خطاياهم منهم من يبلغ إلى كعبيه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ومنهم من يبلغ إلى وسطه ومنهم من يلجمه العرق"¹.

- وفي هذا الموقف الرهيب المرعب يكون أصناف من الناس في منأى عن هذا العذاب، وهم السبعة الذين يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله².

4- الشفاعة:

وعندما يطول الحشر ويشتد الأمر، ويعظم الكرب في هذا الموقف العظيم يبدأ الناس بالبحث عن شفيع يشفع لهم عند الله عزّ وجلّ أن يبدأ الحساب. فيأتون الأنبياء: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وكل رسول يحيلهم على من بعده حتى يأتونا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفع فيهم ويقبل الباري سبحانه وتعالى شفاعته، فينصرف الناس إلى الحساب والجزاء والقضاء³.

- الشفاعة عموماً هي السؤال في التجاوز عن الذنوب، أو هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. وهي ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي الوسيلة التي اختص بها صلى الله عليه وسلم. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال حتى يسمع النداء اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعده، حلّت له شفاعتي يوم القيامة"⁴. ويقول الله تعالى: ((وَمَنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)) [الإسراء:79]⁵.

1- أحمد، المسند، حديث 2186.

2- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص 330-332.

3- محمد نعيم ياسين، الإيمان، ص 64. أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص 343.

4- مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، حديث 384.

5- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص 334.

- و"المقام المحمود" هو الشفاعة التي تكون للنبي صلى الله عليه وسلم. قال الطبري في تفسيره: "قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس، ليرحمهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم"¹.

- ومن الشفاعة المثبتة للنبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة في أهل الذنوب من الموحدين الذين يدخلون النار. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة"².

5- الحساب:

وبعد الشفاعة الكبرى يصدر الناس للحساب والجزاء على ما قدموا في الحياة الدنيا من خير أو شر، وقد ذكر الله تعالى مشهد الحساب فقال: ((وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالتَّيِّبِينَ وَالتَّشْهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)) [الزمر: 69].

والمراد بالحساب أن يوقف الله تعالى عباده بين يديه ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها وكل ما كانوا عليه في الحياة الدنيا من أقوال وأفعال، ويشمل هذا الحساب ما يقوله الله تعالى لعباده وما يقولون له، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين، قال الله تعالى: ((يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيرُؤَا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) [الزلزلة: 6-8]³.

- والحساب من حيث الطول والقصر، ومن حيث العسر واليسر يدور على محتوى الكتب التي يعطاها كل إنسان ساعة القضاء. فهناك من يكون حسابه قصيراً يسيراً، يقول الله تعالى: ((فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا)) [الانشقاق: 7-9]. والمقصود بالحساب اليسير عرض الأعمال على صاحبها ثم يتجاوز عنه، كما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نوقش الحساب عُذِّب. قالت: قلت: أليس قال الله:

1- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد ومحمود محمود شاكر، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة 2000، ج17، ص526.

2- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، حديث 4739.

3- عمر سليمان الأشقر، القيامة الكبرى، ط6، عمان، دار النفائس 1994، ص193.

((فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا))؟ قال: ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب".

- وهناك من يكون حسابه طويلاً عسيراً وهم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم ومن أظهرهم.

- وهناك السبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

- و أثناء الحساب تشهد على الإنسان جوارحه فلا يستطيع إنكار أي شيء مما عمل، قال الله تعالى: ((حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [فصلت:20].

- ومن يشهد على الإنسان أيضاً الأرض التي كان يمشي ويعيش عليها ويأتي المعاصي فوقها. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ((يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)) [الزلزلة:4]، قال أتدرون ما أخبارها؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها"¹.

6- الميزان:

وبعد هذا الحساب توضع الموازين، والميزان: جمع موازين وهو الآلة التي تُقَدَّر بها الأشياء. قال تعالى: ((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا)) [الأنبياء:47]. وقال: ((فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ)) [القارة:6-9]. يقول الإمام القرطبي: "وقال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأنّ الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى: ((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا)) [الأنبياء:47]"².

وما ورد من السنة في شأن الميزان قول النبي صلى الله عليه وسلم: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم". كما ورد أيضا حديث

1- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص344. علي محمد الصلابي، الإيمان باليوم الآخر، ص197 وما بعدها.

2- القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة الصادق بن محمد إبراهيم، ص715.

ابن مسعود عندما ضحك الصحابة رضي الله عنهم من دقة ساقيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
"والذي نفسي بيده إنهما لأثقل في الميزان من أحد".

- وقد اختلف العلماء في كيفية الميزان الذي ذكر في الآيات القرآنية هل هو حقيقة أم مجاز؟
فبين قائل إن الميزان هو مثل وليس ثمَّ ميزان على الحقيقة وإنما هو كناية عن العدل، وبين قائل إن
الميزان حقيقة له لسان وكفتان. وقد ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري إلى أنه على الحقيقة، يقول:
"قال أهل الحق له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفيه الحسنات وفي الأخرى السيئات. فمن
رجحت حسناته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل
الله عليه فأدخله الجنة"¹.

- واختلفوا أيضاً في الذي يوزن ما هو؟ هل هو الأعمال أم الأشخاص أم الصحف؟ والذي
ذهب إليه الأكثرون أن الذي يوزن هو الصحف المدون فيها الأعمال، قال القرطبي: "والمراد بالوزن
وزن أعمال العباد بالميزان، قال ابن عمر: توزن صحائف أعمال العباد. وهذا هو الصحيح، وهو
الذي ورد به الخبر"².

يقول الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: "وعلينا أن نمسك، كما قال العلماء، عن تعيين نوع
هذا الميزان وجوهره وكيفيته، وهل هو ميزان واحد للخلائق كلهم أم موازين كثيرة، فكل ذلك مما لا
سبيل إلى القطع به. ولكننا نؤمن بما أخبر الله عنه، ونقول إنه كما أخبر جلّ جلاله، دون أن نؤوّل
أو نقحم عقولنا وأخيلتنا في حمل هذه الآيات على مجاز أو استعارة أو نحو ذلك"³.

7- الصراط:

الصراط في اللغة: هو الطريق. ويطلق شرعاً على معنيين: أحدهما في الدنيا: وهو المنهج الذي
شرعه الله تعالى لعباده وأمرهم باتباعه والتزامه، وهو المعنى بقول الله تعالى: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

1- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج2، ص104.

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص165. إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية،
ص347-348.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، ص351.

فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) [الأَنْعَام: 152]. وقوله عزَّ وجلَّ: ((اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)) [الفاتحة: 6]. والثاني في الآخرة: وهو: "الجسر الذي ينصب على نار جهنم يوم القيامة فيجتاز عليه الناس على اختلاف مذاهبهم وأضرابهم وتفاوت درجاتهم، فمنهم من يدق تحت قدميه حتى يبدو له أنه أدق من السيف، فيتروح من فوقه ثم يهوي في النار، ومنهم من ينسبط عريضاً تحت قدميه فيمر من فوقه إلى ما أعده الله له من النعيم المقيم". وإليه يشير قول الله تعالى: ((وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا)) [مریم: 71-72]. وقوله تعالى: ((وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ)) [يس: 66]¹.

- روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلايب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا، وعلى جنبه ملائكة يقولون: اللهم سلم اللهم سلم، فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجري ومنهم من يسعى سعياً ومنهم من يمشي مشياً ومنهم من يجبو حبواً، ومنهم من يزحف زحفاً، فأما أهل النار فلا يموتون ولا يحيون، وأما أناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فحماً ثم يؤذن في الشفاعة".

- والصراط في الآخرة هو تجسيد لمعنى الصراط الذي أمر الله تعالى به عباده الالتزام به في الدنيا. فمن استقام على الصراط المستقيم، خف على صراط الآخرة ونجا، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى، تعثر في أول قدم من الصراط وتردى².

فاللهم ارزقنا حسن الإنابة إليك في حياتنا الدنيا، وأحسن منقلبنا إليك في ذلك اليوم العظيم، وأجرنا من عذابك بمنك وفضلك يا أرحم الراحمين.

8- الجنة والنار:

بعد تلك الرحلة من هول البعث وفرعه، وخوف الحساب وعرض الأعمال واجتياز الصراط، تأتي المرحلة الأخيرة، مرحلة الجزاء النهائي، إما الجنة أو النار.

1- المرجع السابق، ص 353. سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص 438-439.

2- المرجع السابق، ص 354.

لقد ساقنا إينا نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية حقيقة كل من الجنة والنار، فالجنة نعيم العابدين الساجدين الراكعين المطيعين لله تعالى، والنار عاقبة المسيئين المستكبرين عن عبادته سبحانه وتعالى. ومن الأمور التي يجب اعتقادها اعتقاداً جازماً فيما يخص الجنة والنار هو الآتي:

- أن نعيم الجنة وعذاب النار هو للروح والجسد معاً، وقد وصف القرآن الكريم الجنة بأوصاف حسية مادية، إذ فيها السرر المرفوعة والأكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والولدان المخلدون وأنهار العسل واللبن...، وكلها أوصاف حسية مادية. قال تعالى: ((فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزُرَّابِيُّ مَبْثُوثَةٌ)) [الغاشية:12-16]. ويوجد الكثير من مثل هذه الآيات في الوصف الدقيق لنعيم الجنة المادي. أما في وصف عذاب النار المادي فيقول الله عز وجل: ((وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ)) [الغاشية:2-7]. والآيات في ذلك كثيرة¹.

- خلود كل من في الجنة والنار، اتفق جميع المسلمين على أنه لا فناء للجنة ونعيمها ولا للنار وعذابها². وأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرة في إثبات خلود الجنة والنار، منها قوله تعالى: ((وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) [البقرة:25]. وقال الله تعالى: ((قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) [المائدة:119]. وفي خلود النار وأهلها يقول الله عز وجل: ((فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)) [هود:106-107]. وقال جلّ وتعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ)) [البينة:6].

- ومما يدل على الخلود من الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشربون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم، هذا الموت، وكلهم

1- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص358-360.

2- محمد علي الصلابي، الإيمان باليوم الآخر، ص232 وما بعدها. إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص355-356. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص361.

قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيُذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت"¹.

- أن الجنة والنار مخلوقتان، حيث ذهب علماء المسلمين إلى أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وخالفهم أكثر المعتزلة والخوارج في ذلك وقالوا إنما يخلقان يوم الجزاء. واستدل أهل السنة على ثبوت ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية. أما القرآن الكريم فقوله تعالى: ((وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)) [آل عمران:133]. وقوله عز وجل: ((سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)) [الحديد:21]. ويقول سبحانه وتعالى في شأن النار: ((وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)) [آل عمران:131]. ووجه دلالة هذه الآيات على وجود الجنة والنار، أن القرآن الكريم عبّر بلفظ "أعدت" الذي يفيد الماضي وهو صريح في وجودها الآن². ومن السنة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها"³. وحديث الإسراء والمعراج الذي رأى فيه النبي صلى الله عليه وسلم الجنة والنار وما أعده الله فيهما من صنوف النعيم والعذاب، والأحاديث كثيرة في هذا الباب⁴.

9- رؤية الله تعالى:

إذا كان أفضل جزاء الإنسان يوم القيامة هو الخلود في الجنة، فإن أفضل ما يحققه الإنسان في الجنة هو رؤية الله تعالى. وإذا كانت رؤية الله تعالى من قبل المؤمنين يوم القيامة نعمة لا تعادلها نعمة وسعادة لا تدانيها سعادة، فإن حجب الكفار عنها وحرمانهم منها هو حرمان لا يدانيه حرمان.

ورؤية الله تعالى في الآخرة والنظر إليه من قبل المؤمنين مما دلّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو نعمة ينعم الله تعالى بها على عباده تتضاءل أمامها جميع النعم. قال الله تعالى: ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

1- البخاري، الصحيح، في التفسير، باب قوله تعالى: ((وأُنذِرهم يوم الحسرة))، حديث4730.

2- ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص420-421. الإيجي، المواقف، ص375.

3- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث3079.

4- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ص353-354.

نَاصِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ)) [القيامة:22-23]. وقال عز وجل: ((لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ)) [يونس:26]. والمراد بالزيادة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم يوم القيامة، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد فسرها بهذا عندما قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الله تعالى الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ولا أقرّ لأعينهم وهو الزيادة"¹. ومن الأحاديث التي تدل على إثبات الرؤية قوله صلى الله عليه وسلم: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"².

فاللهم لا تحرمنا يوم القيامة من النظر إلى وجهك الكريم.. آمين.

1- مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، حديث 297.

2- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ((وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ))، حديث 7435.



أثر الإيمان بالحياة الآخرة والحساب



مقدمة:

إن انفتاح الدنيا الشديد على كثير من الناس في هذا الزمان خاصة مع الأساليب الجديدة والدعايات الكثيفة التي تزين للناس الدنيا وتصددهم عن الآخرة، تجعل من دراسة اليوم الآخر وتعميق الإيمان به من الضرورات الإيمانية في الواقع المعيش للإنسان المسلم. وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم لم تنفتح عليهم الدنيا كما انفتحت علينا اليوم إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحذرهم من الدنيا ومن الاغترار بها، فإننا بلا ريب أحوج منهم بكثير إلى أن نتذكر الآخرة ونستعد لها.

ثم إن ركون الكثير من الناس وقسوة قلوبهم وتحجر عيونهم، وهجرانهم لكتاب الله تعالى العزيز، ما هو، على ما يبدو، إلا بسبب نسيان الآخرة والحساب.

وما هذا التكاثر والتقاعد الذي نعيشه اليوم عن الاشتغال بالعمل الصالح إلا بسبب الغفلة عن يوم الحساب.

وما نراه اليوم ونشاهده في عصرنا هذا من المشكلات الحياتية المعقدة، والأمراض النفسية المتنوعة من القلق والاكتئاب اللذين يؤديان غالباً إلى حياة بائسة يائسة، سببه البعد عن الله تعالى وتذكر الحياة الآخرة.

وما نلاحظه من كثرة المظالم، واعتداء الناس على بعضها البعض، وأكل أموال الناس بالباطل، والنيل من الأعراض وهتكها، والتباغض والفرقة والاختلاف، سببه بلا أدنى شك عدم تذكر اليوم الآخر والحساب.

وبناء على ما تقدم من مشاهد الواقع السلبي الذي نعيشه في حياتنا بسبب غياب اليوم الآخر والحساب عن يوميات حياتنا وواقعنا، فإننا نستخلص أهم آثار الإيمان بالحياة الآخرة والحساب في الآتي¹:

1- أنظر هذه الآثار في: سعيد الخن ومحيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ص 456 وما بعدها.

1- الإخلاص لله تعالى، والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم: فالموقن بأن هناك حياة أخرى غير هذه الحياة سينتهي إليها، وأنه هناك سيحاسب فيها على كل ما عمله في هذه الحياة الدنيا، لا بد أنه سيحرص على أن تكون أعماله كلها خالصة لله تعالى، وسيجتهد في أن لا تتلوث أعماله وحركاته وسكناته بالرياء والعُجب وطلب الجاه الذي يجبط كل عمل يقبل عليه، كما يحرص أيضاً على أن يكون في أعماله كلها متبعاً للرسول صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: ((فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)) [الكهف:110].

2- استدامة المراقبة: واستحضار اليوم الآخر الذي يُنصب فيه ميزان العدل، وتنتشر فيه صحف الأعمال، ويساق الناس فيه إما إلى الجنة وإما إلى النار. فالإيمان العميق بالحياة الآخرة يجعل المؤمن دائم المراقبة لله تعالى في السر والجهر، يتقي الله تعالى في جميع أحواله، مستحضراً بقوة في جميع حركاته وسكناته قول الله تعالى: ((وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)) [البقرة:281].

3- تقويم السلوك: علم المؤمن واستحضاره للوقوف بين يدي الله تعالى، يؤدي به إلى الإقبال على الخير والعزم فيه، والابتعاد عن الشر والحزم فيه، فيستزيد من حسناته ويقلل من سيئاته لعله يأخذ صحيفته يوم القيامة بيمينه فيكون من الفائزين إن شاء الله تعالى، قال الله تعالى: ((فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أقرءُوا كِتَابِيهِ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)) [الحاقة:19-22].

4- تحقيق التوازن: بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وفهم أن الدنيا دار ابتلاء، وهي مزرعة الآخرة. والمؤمن لا تخدعه الحياة الدنيا بزخارفها ومغرياتها وشهواتها، ولكنه أيضاً لا يزهدها في درجة تقعه عن العمل، فيصبح عالة على غيره، بل يبقى مجاهداً في ساحة الوسطية التي قال عنها المولى عز وجل: ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) [البقرة:201]. وقوله تعالى: ((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ)) [القصص:77].

5- تعميق الإيمان بعدل الله تعالى: لأن المؤمن يعتقد أن هذه الدار الدنيا مليئة بالمنغصات والنقائص، وأما الدار الآخرة فهي دار الجزاء العادل يقيمه الله تعالى العادل الذي لا يظلم أبداً، ولا يجور في حكمه على أحد، كما لا يحرم أحداً من ثواب يستحقه، قال تعالى: ((وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)) [الكهف:49].





قائمة المصادر والمراجع



أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر:

- 1- الأشعري، أبو الحسن، الإبانة عن أصول الديانة، دمشق-بيروت، مكتبة دار البيان 1401هـ.
- 2- الأشعري، أبو الحسن، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وقدم له وعلق عليه: حموده غرابة، (د.ط)، مصر، مطبعة مصر 1955.
- 3- الإيجي، المواقف في علم الكلام، (د.ط)، بيروت، عالم الكتب 1979.
- 4- البخاري، الجامع الصحيح، بيروت، دار ابن كثير، 1987.
- 5- البخاري، الجامع الصحيح، ط1، تحق: أحمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة 1422هـ.
- 6- البغدادي، أصول الدين، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية 1401هـ.
- 7- البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة (د.ت).
- 8- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1388هـ-1968م.
- 9- الترمذي، السنن، تحقيق: أحمد شاکر وفؤاد عبد الباقي، ط2، دار الفكر 1975.
- 10- ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، محمد رشاد شاکر، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- 11- ابن حجر، فتح الباري، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ.
- 12- أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط2 مؤسسة الرسالة 1420هـ.
- 13- الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ط1، القاهرة، المطبعة الخيرية 1307هـ.
- 14- السفاريني، ط2، دمشق، مؤسسة الخافقين 1402هـ-1982.
- 15- ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، خرّج أحاديثها محمد ناصر الألباني، ط8، المكتب الإسلامي 1404هـ.
- 16- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر 1979.
- 17- الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية 1424هـ-2003م.

18-القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة الصادق بن محمد إبراهيم، ط1، الرياض، دار المنهاج 1425هـ.

19-الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد ومحمود محمود شاكر، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة 2000.

20-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع 1999.

21-الألوسي، روح المعاني، تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي 1999.

22-مسلم، الصحيح، تحق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

23-ابن منظور، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر 1414هـ.

ثالثا: المراجع:

24-الأشقر، عمر سليمان، العقيدة في الله، ط2، عمان، دار النفائس 1999.

25-الأشقر، عمر سليمان، عالم الجن والشياطين

26-الأشقر، عمر سليمان، القيامة الصغرى، ط4، عمان، دار النفائس 1991.

27-الأشقر، عمر سليمان، القيامة الكبرى، ط6، عمان، دار النفائس 1994.

28-البوطي، محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيات الكونية، ط8، دمشق، دار الفكر 1421هـ-2000م.

29-التهامي، إبراهيم، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ط1، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع 2012.

30-الجزائري، أبو بكر جابر، عقيدة المؤمن، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية 1981.

31-الحازمي، الشريف عبد الله بن علي، دراسات عقدية في الحياة البرزخية، ط1، بيروت، دار ابن حزم 2011.

32-الخن، مصطفى سعيد، ومحبي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية، ط3، دمشق-بيروت، دار الكلم الطيب.

- 33-سراج الدين، عبد الله، الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، ط2، حلب، مطبعة الأصيل 1984.
- 34-سليمان، عبد الحميد، أزمة العقل المسلم، ط1، فرجينيا، م ع ف إ 1991.
- 35-الشليبي، مصطفى أبو النصر، صحيح أشراف الساعة، ط2، جدة، دار السوادي للتوزيع 1994.
- 36-الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان، الرياض، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية 1983.
- 37-محمد علي الصلابي، الإيمان بالملائكة، ط2، بيروت، دار المعرفة 2011.
- 38-بن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية 1984.
- 39-الكردي، فوز بنت عبد اللطيف كامل، أصول الإيمان بالغيب وآثاره، رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات بجدة، قسم الدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية 1426-1427هـ.
- 40-عبد الباري، فرج الله، يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، ط1، القاهرة، دار الآفاق العربية 2004.
- 41-العموش، بسام علي سلامة، الإيمان بالغيب، ط1، عمان، دار المأمون للنشر والتوزيع 1431هـ-2010م.
- 42-الكبيسي، محمد عياش، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، ط1، بغداد، مطبعة الحسام 1995.
- 43-الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، سورة الرعد دراسة أدبية ولغوية وفكرية، ط2، الرياض، مكتبات عكاظ 1983.
- 44-الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الوجيز في العقيدة الإسلامية، ط2، بيروت، مؤسسة الريان 1996.
- 45-الوابل، يوسف ابن عبد الله بن يوسف، أشراف الساعة، ط4، المملكة العربية السعودية، دار ابن حزم 1994.
- 46-ياسين، محمد نعيم الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، (د.ط)، الإسكندرية، دار عمر بن الخطاب (د.ت).

فهرس الموضوعات

04.....	مقدمة:
07.....	مدخل إلى السمعيات:
08.....	أولاً: تعريف السمعيات والغيبيات:
08.....	1- السمعيات:
08.....	أ- تعريف السمعيات لغة:
08.....	ب- تعريف السمعيات اصطلاحاً:
09.....	2- الغيبيات:
09.....	أ- تعريف الغيبيات لغة:
09.....	ب- تعريف الغيبيات اصطلاحاً:
09.....	ثانياً: الغيب حقيقة وجودية:
10.....	ثالثاً: أقسام الغيب:
11.....	رابعاً: العلاقة بين عالم الغيب وعالم الشهادة:
14.....	عالم الملائكة:
15.....	1- تعريف الملائكة:
15.....	أ- تعريف الملائكة لغة:
15.....	ب- تعريف الملائكة اصطلاحاً:
15.....	2- وجود الملائكة:
16.....	3- طبيعة الملائكة:
16.....	4- حديث القرآن الكريم عن الملائكة:
17.....	5- أسماء الملائكة:

- 6- موت الملائكة: 19.....
- 7- صفات الملائكة: 19.....
- 8- وظائف الملائكة: 20.....
- 9- هل إبليس من الملائكة؟ 22.....
- 10- أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان: 23.....
- عالم الجن: 24.....
- 1- تعريف الجن: 25.....
- أ-تعريف الجن لغة: 25.....
- ب-تعريف الجن اصطلاحاً: 25.....
- 2- الإيمان بوجود الجن: 25.....
- 3- طبيعة الجن: 26.....
- 4- بعض صفات الجن: 26.....
- 5- هل الشيطان يؤذي ابن آدم جسدياً؟ 27.....
- 6- هل يقع التزاوج بين الإنس والجن؟ 28.....
- 7- عداوة إبليس للإنسان: 29.....
- اليوم الآخر: 30.....
- طريقة القرآن الكريم في عرض الحياة الآخرة وإثباتها 31.....
- 1- مفهوم الإيمان باليوم الآخر: 32.....
- أ-مفهوم اليوم الآخر: 32.....
- ب-مفهوم الإيمان باليوم الآخر: 33.....
- 2- أسماء اليوم الآخر: 33.....
- 3- مظاهر عناية القرآن الكريم باليوم الآخر: 34.....
- 4- حكمة اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر: 34.....

- 5- مسلك القرآن الكريم في عرض الحياة الآخرة: 35.....
- أ- مسلك الاستدلال على الحياة الآخرة بالنشأة الأولى: 35.....
- ب- مسلك التنبيه على المشاهد الكونية المحسوسة الدالة على إمكان الآخرة: 36.....
- ج- مسلك التنبيه على قدرة الله تعالى الباهرة في خلق الأعظم: 36.....
- د- مسلك التنبيه على العناية بالخلق وعدم تركهم سدى: 36.....
- د- مسلك التنبيه على أن حكمة الله تعالى وعدله يقتضيان أن تكون حياة أخرى بعد هذه الحياة للحساب والجزاء: 36.....
- مسؤولية الإنسان العظمى والحياة الآخرة: 38.....
- مقدمة: 39.....
- الحياة البرزخية: 40.....
- 2- تعريف البرزخ: 41.....
- أ- تعريف البرزخ لغة: 41.....
- ب- تعريف البرزخ اصطلاحاً: 41.....
- 2- دليل الحياة البرزخية من القرآن الكريم والسنة النبوية: 41.....
- أ- من القرآن الكريم: 41.....
- ب- من السنة النبوية: 42.....
- 3- ضمة القبر: 43.....
- 4- فتنة القبر وسؤال الملكين: 44.....
- 5- عذاب القبر ونعيمه: 45.....
- 6- الحكمة من عذاب القبر ونعيمه: 46.....
- أشراط الساعة الصغرى: 48.....
- 1- تعريف الأشراف: 49.....
- أ- تعريف الأشراف في اللغة: 49.....
- ب- تعريف الأشراف في الاصطلاح: 49.....

- 50..... 2- علامات الساعة الصغرى:
- 52..... 3- دلالة أشراط الساعة الصغرى على صدق النبوة:
- 53..... أشراط الساعة الكبرى:
- 54..... 1- الفرق بين أشراط الساعة الصغرى والكبرى:
- 54..... 2- علامات الساعة الكبرى:
- 55..... أ- الدخان:
- 55..... ب- الدجال:
- 57..... ج- خروج الدابة:
- 57..... د- نزول عيسى عليه الصلاة والسلام:
- 58..... هـ- خروج يأجوج ومأجوج:
- 59..... و- طلوع الشمس من مغربها:
- 60..... ز- الخسوفات الثلاثة:
- 61..... ح- النار التي تحشر الناس إلى محشرهم:
- 61..... 3- أثر العلم بأشراط الساعة في حياة الإنسان:
- 63..... يوم القيامة وأحداثه:
- 64..... بداية اليوم الآخر:
- 64..... 1- النفخ في الصور:
- 65..... 2- البعث:
- 65..... 3- الحشر:
- 67..... 4- الشفاعة:
- 68..... 5- الحساب:
- 69..... 6- الميزان:
- 70..... 7- الصراط:

71.....	8- الجنّة والنّار:
73.....	9- رؤية الله تعالى:
75.....	أثر الإيمان بالحياة الآخرة والحساب:
76.....	مقدمة:
77.....	1- الإخلاص لله تعالى والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم:
77.....	2- استدامة المراقبة:
77.....	3- تقويم السلوك:
77.....	4- تحقيق التوازن:
78.....	5- تعميق الإيمان بعدل الله تعالى:
79.....	قائمة المصادر والمراجع:
83.....	فهرس الموضوعات: